وزارة التعليـــــم العالـــــي والبحـث العلـمـي
جامعة عبد الحميد ابن باديس –مستغانم -
كلية الأدب العـــــــربي والفنون
قـــــسم الدراســـــات اللّغوية
السـنة الثانية مـاستـــر
تخصص: لسانيات عربية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة:

دراسة كتاب فصول في علم اللّغة " عبده الراجحي "

من إعداد الطالبين:
عبد القادر عيساوي
عبد المالك بن دوبة

إشراف الأستاذة:
د. بن سكران حفيظة

الموسم الجامعي: 2020 - 2021
1441 هـ - 1442 هـ

خطة البحث

مقدمة

مدخل

الفصل الأول:

الوصف الخارجي للكتاب

البحث الأول: عنوان الكتاب

المبحث الثاني:طبعته المعتمدة

المبحث الثالث: وصف حجمه (الطول والعرض والارتفاع)

المبحث الرابع: عدد صفحات الكتاب

المبحث الخامس: مكان الطّبع والإطار الزّماني للكتاب

المبحث السادس: البناء الدّاخلي للكتاب

الفصل الثاني:

تلخيص مضامين الكتاب

المبحث الأول: تلخيص مضمون الكتاب دون تدخل أو تأويل أو مناقشة

الفصل الثالث:

مناقشة الأفكار المحورية للكتاب

المبحث الأول: مناقشة الأفكار المحورية للكتاب

المبحث الثاني: مناقشة لغة الكتاب

المبحث الثالث: مناقشة المنهج المتّبع

خاتمة:

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

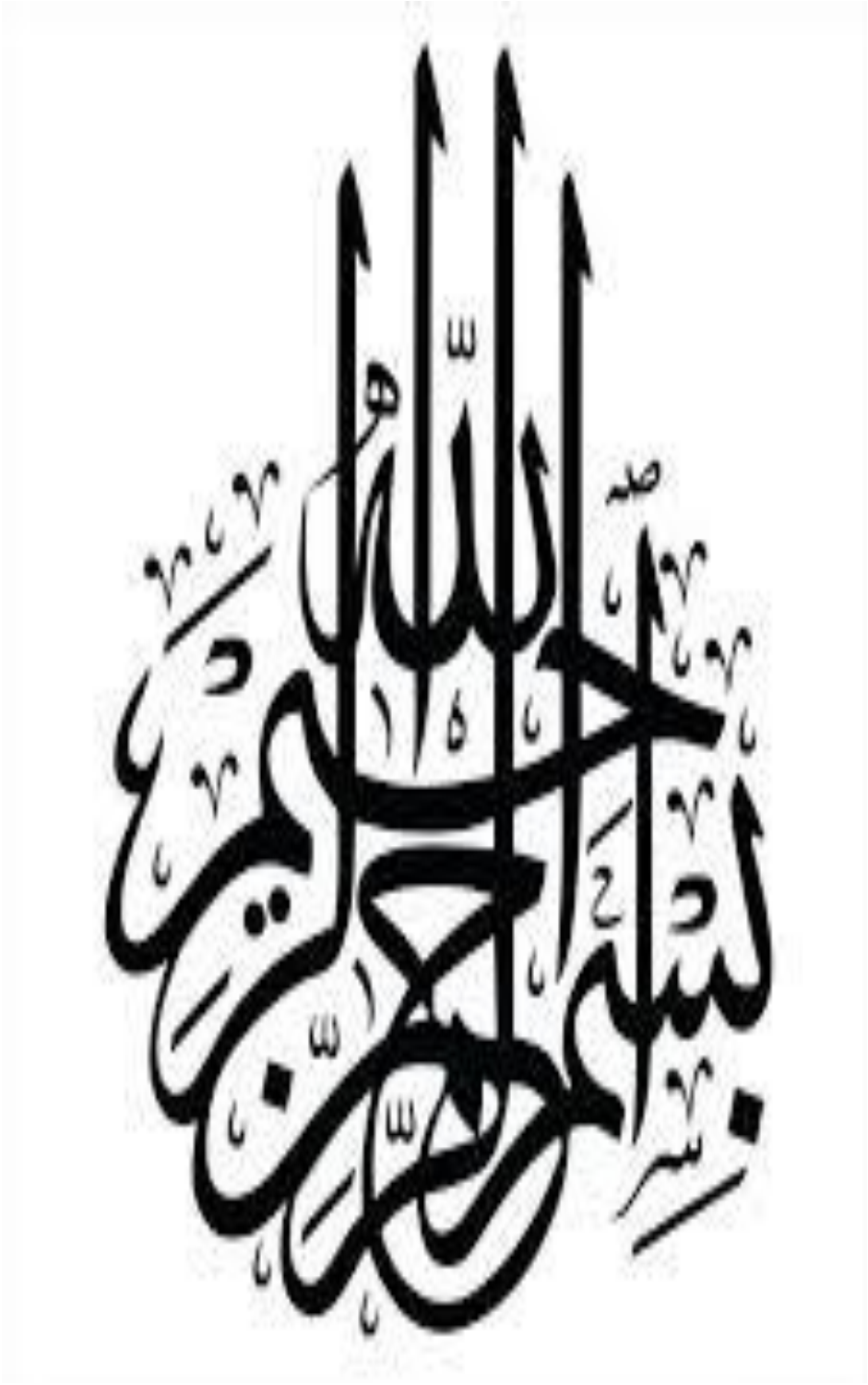
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الذي بعث معلما وهاديا للناس ومبشرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد،

إنّ الدراسات اللغوية ظهرت منذ زمن مبكر، فقد اجتهد الكثير من العلماء والباحثين في سبيل تطوّر وبعث الرّوح العلمية وذلك لدراسة مختلف محطات اللّغة العربية والوقوف على أهم ما يميّز خصائصها ومجالاتها.

وكان للعلماء العرب شأن في أيّ دراسة بالنظر في تراثنا ومخلفاته العلمية، فاللغة العربية حياة مستقلة وتاريخ طويل، فهي تتفاعل بحوادث المجتمع وحياة الفرد والمجتمع وهذا هو ما أدّى إلى دراستها دراسة خاصة شاملة.

ولما كانت اللّغة العربية همزة وصل بين علم اللّغة وشتّى فروع المعرفة، فقد ادّى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللّغوية الحديثة تستعين بالعلوم اللّغوية الأخرى، فكان جديرا لنا التعرّض في هذه الدّراسة لعلم اللّغة وأهم مجالاته كما ورد في مصنف ***"عبده الراجحي فصول في علم اللّغة"*** ***.فعلم اللّغة هو العلم الذي يدرس اللّغة دراسة علمية تعتمد على الدّقة والوضوح والشّمول والمنهجية ويدرس اللّغة لذاتها مستعينا بالكثير من العلوم المعرفية.***

فقد تعدّدت دوافع اختيارنا للموضوع بين موضوعية وذاتية:

-التّعرّف على مختلف المواضيع التي طرحها "عبده الراجحي في كتابه فصول في علم اللّغة".

-دراسة هذا الكتاب دراسة متأنية وتقصي مختلف فصوله ومباحثه.

-تتبع نشأة الدّرس اللّغوي وبخاصة عند الغربيين وعند علماءنا العربيين.

–قلة الدّراسات المتعلّقة بفكر عبده الراجحي وأهم مؤلفاته كونه لديه آثار عديدة في مجال علم اللّغة وعلوم العربية (النحو والصرف).

وبناءا على ما سبق ذكره فلا بدّ عند معالجة أي موضوع، إثارة عدّة تساؤلات ومحاولة الإجابة عنها متمثلة في :

ما هي أهمّ مساهمات عبده الراجحي في مجال علم اللّغة ؟.

ما هي أهمية دراسة علم اللّغة وأهم مجالاته؟.

ما هي أهمّ العوامل الاجتماعية والثقافية التي طرحها عبده الراجحي؟.

هذه هي أهمّ الأسئلة الجوهرية التي أثرت لنا البحث والتي حاولنا ولو بشكل في دراسة هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

أما الأهداف الرئيسية لاختيارنا للموضوع تمثلت في :

–التعرف على أهم الجهود اللّغوية عند عبده الراجحي.

–التمكن من معرفة حدود علم اللّغة ومعرفة أهمّ مجالاته وفروعه.

–تقريب بعض الأسس والمفاهيم التي قام عليها عبده الراجحي في هذا المؤلف.

ومن هنا باتت أهمية الموضوع واضحة، لأنّ عبده الراجحي طرح مادة متنوّعة من خلال هذا المصنّف، فتعرّض لفصول مختلفة وجيزة تتعلق بدراسة علم اللّغة وأهم فروعه مجالاته.

لقد تتبعنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب ومثل هذه الدّراسات، بتتبّع الظواهر اللّغوية عند "***عبده الراجحي***" من خلال كتابه ***"فصول في علم اللّغة"*** كما يقوم هذا المنهج بوصف الظاهرة، وتحليل الظواهر اللغوية، ونقدها، وتقعيدها، في سبيل بيان أهيمية هذه الدراسة وتحليلها.

فقد اعتمدنا خطة بحث تمثلت في مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أمّا المقدّمة فقد ورد فيها ذكر لأهم الدوافع والأهداف الرئيسية وأهمية الموضوع، والمنهج المتبع في هذا البحث. والمدخل تناول الحديث عن الكتاب الذي بين أيدينا وقد تضمن بيان: –أهمية الأشكال والموضوع الذي يتناوله الكتاب، وهل الكتاب جزء من مشروع لمؤلفه، وما مدى أهمية مساهمة المؤلّف في الموضوع الذي يتناوله، وهل موضوع الكتاب جديد أم قديم الطّرح أو تعميق لإشكالية سابقة الطرح أو ردّ على الدّراسات السّابقة،

امّا الفصل الأول تضمن دراسة شكل الكتاب بشكل مفصّل ومجمل، كما تضمن المبحث الأوّل: الحديث عن عنوان الكتاب وطبعته المعتمدة ووصف حجمه الطول والعرض والارتفاع وذكر لعدد صفحات الكتاب ومكان طبعه والإطار الزماني للكتاب.

أمّا المبحث الثاني: تضمن البناء الداخلي للكتاب، وهو دراسة مقدّمة الكتاب وفصوله ومباحثه وخاتمته وفهرس الموضوعات وقائمة المصادر والمراجع.

يليه الفصل الثاني: تلخيص مضمون الكتاب دون تدخّل أو تأويل أو مناقشة

أمّا الفصل الثالث والأخير تضمنت مباحثه ما يلي:

المبحث الأول: مناقشة الأفكار المحورية، المبحث الثاني: مناقشة لغة الكتاب، المبحث الثالث: مناقشة المنهج المتّبع.

وأخيرا الخاتمة تضمنت مجمل النّتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدّراسة.

أمّا الدّراسات السّابقة للموضوع ، لا أذكر أنّ هناك أبحاثا تناولت جهود ومؤلفات ***"عبده الراجحي"*** خصوصا الكتاب الّذي بين أيدينا ***"فصول في علم اللّغة"*** وقد واجهنا أثناء البحث جملة من الصّعوبات وهي قلة الدّراسات السّابقة في هذا الموضوع، إضافة إلى قلّة المصادر والمراجع، ورغم كل الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث، بحكم صعوبة الموضوع أولا ومع قلّة المصادر والمراجع التي كانت العائق الأساسي، لكن كل هذه الصّعوبات كانت حافزا لنا ومحل جدّ واجتهاد من أجل إتمام هذا البحث.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتوجه بجزيل الشكر إلى الله سبحانه وتعالى أن وفقنا، وشكرا للأستاذة المشرفة القديرة ***الدّكتورة بن سكران*** فقد منحتنا رعاية الإشراف بكلّ جهدها. وتحمّلت معنا مشقة البحث بإنارة الطّريق لنا، فحفظها الله وسدّد خطاها، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم والحمد لله ربّ العالمين.

مدخل:

ما انفك الحديث عن العلوم العربية سواء ما يتعلق بالعلوم اللّغوية أو الأدبية منها إذ أنّ العديد من الباحثين الغور في دراسة مختلف الظواهر اللّغوية القديمة والحديثة منها.

وكان مطلع القرن العشرين الفاصل في الانفتاح على مختلف الحضارات من غربية وشرقية والكثير من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم واختلاف مشاربهم ساهموا في تقديم العديد من المشاريع وعرضها في الجامعات العربية في سبيل إفادة الطلاب ودفعهم نحو التطلع والاستكشاف.

ونحن بصدد الحديث عن معلم من معالم اللّغة العربية، الأستاذ الدكتور عبد الراجحي. أستاذ العلوم اللّغوية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – انطلاقا من مصنّف فصول في علم اللّغة.

فقد ولد الدكتور عبده علي إبراهيم الراجحي في أكتوبر سنة 1937 م بمحافظة الدقهلية، وحصل على درجة ليسانس الآداب في قسم اللّغة العربية جامعة الإسكندرية بتقدير " ممتاز " مع مرتبة الشرف 1959 م، وعلى ماجستير في الآداب في العلوم اللّغوية من الجامعة نفسها في يوتية 1963 م، ثم حصل على الدكتوراه في الآداب في العلوم اللّغوية في يناير 1967 م.[1]

وشغل درجة عميد بقسم اللّغة العربية بجامعة الإسكندرية من 1961 م ودرجة مدرس العلوم اللّغوية بها من 1967 م، ودرجة أستاذ مساعد للعلوم اللّغوية بها من 1972 م، ثم درجة أستاذ العلوم اللّغوية من 1977 م ويعمل الآن متطوعا للعلوم اللّغوية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية –

[1] ينظر: خالد فهمي (أبو الحسن الجمال) مآذن من بشر، أعلام معاصرون، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط 1 ، 2016، ص 93.

وقد شغل العديد من المراكز الإدارية والعلمية، إضافة إلى مشاركته في عدد كبير من المؤتمرات العلمية.

ومن أبحاثه اللّغوية:

منهج ابن جني في كتابه المحتسب – اللهجات العربية في القراءات القرآن التطبيق النحوي – التطبيق الصرفي – فقه اللّغة في الكتب العربية – اللّغة وعلوم المجتمع – علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربية.

ومن مقلاته المشهورة:

النحو العربي وأرسطو – التراث العربي ومناهج علم اللّغة، أسس تعليم اللّغات وتعلمها وغيرها من المقالات.

توفي يوم الاثنين 2010/10/26 الدكتور عبده الراجحي، رحمه الله والآن بعد هذا العرض الموجز حول سيرة عبده الراجحي نتكلم حول موضوع بحتنا الذي يتمحور حول " كتاب فصول في علم اللّغة " " لعبده الراجحي "

تعتبر أهمية الكتاب في جعل الطالب يتصل بعلم اللّغة ومعرفة بعض المجالات

أولا: اقتصر عبده الراجحي على فصول في علم اللّغة، فكانت هته الفصول منتقاة من عدة كتب له، تعتبر أهميتها في التعرض لأهمية فقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين وعند العرب، وقد أخذ هذا الفصل من كتاب " فقه اللّغة في الكتب العربية " وقد تعرض في فصل آخر " لعلم اللّغة الاجتماعي " كما تعرض للعديد من القضايا التي تدرس اللّغة سواء عند الإنسان وعند الحيوان، كما تحدث عن اللّغة والثقافة في مصر في العقد الأخير وهو بحث ألقي في مؤتمر " أنثروبولوجيا مصر " ، ثم التعريف بعلم اللّغة التطبيقي، وعرض لأهم مصادره من

كتاب " علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربية "، كذلك بحث في مؤتمر اللّغة العربية والثقافة العلمية " الذي نظمه " المجلس الأعلى بالقاهرة "

وأخيرا عرض للعوامل الاجتماعية والثقافية في تعليم اللّغة، وهو فصل الكتاب الذي ترجم بعنوان " أسس علم اللّغة "

وهنا تحقق هذه الفصول المنتقاة من عدة كتب ومؤتمرات ومحاولة إعادة طرحها، فتكمن أهمية هذا الكتاب في معالجة بعض مجلات علم اللّغة.

ومن بين مؤلفات عبده الراجحي[2] " فصول في علم اللغة " الذي تطرق من خلاله للعديد من القضايا المتعلقة بعلم اللّغة وأهم مجلاته ومصادره، فكانت هته الفصول متنوعة بتنوع الكتب التي أخذ منها، وهذا يدل على سعة علمه ودقة فهمه، إذ حاولنا من خلال تصفح مختلف صفحات هذا المصنف إلى الإشارة إلى أنّ أهمية الكتاب واضحة من خلال مؤلفه حيث تعرض لفقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين وعند العرب وبين الخلط بينهما،كما أشار إلى أن تتبع العلمين من كثرة الاختلافات التي وقعت بين هذين العلمين، كما تعرض لعلم اللغة الاجتماعي وعرض لكل ما يتعلق بنشأة اللغة واللهجة واللسان العربي، وهناك فضل آخر تعلق باللغة والثقافة في مصر في العقد الأخير، كما بين مصادر علم اللغة التطبيقي وأهم مجالات وفروعه، وكل ما تعلق باكتساب اللغة وتعليم العربية، والعوامل الاجتماعية والثقافية في التعليم اللغة، وهذه كلها دراسات لفصول أخذت في كتب متنوعة حول علم اللغة ومجالاته.

وهنا تظهر أهمية هذا الكتاب في التعرض لمسائل علم اللغة وأهم المجالات اللغوية، وهذا كان حافزا لنا في اختيار هذا البحث وهناك أسباب أخرى أجد لها فيما يلي:

[2] ينظر: المرجع السابق ص 94.

قلة الدراسات المتعلقة بكتب العلامة عبده الراجحي.

الرغبة في معرفة ما يتعلق بفقه اللغة وعلم اللغة ومصادره العلمية والعوامل الاجتماعية والثقافية في مصر في تعليم اللغة العربية.

فقد كان الموضوع واضحا يعالج علم اللغة وما تعلق بالدراسة سواء عند الباحثين الأوربيين والأمريكيين أو الباحثين العرب، فهو بصفة عامة يدرس اللغة وطبيعتها ووسائل تعلمها وتعليمها والعوامل الاجتماعية والثقافية التي تخضع لها.

وأهم الطرق والوسائل المتعمدة في التدريس وهذا ما يتعلق بعلم اللغة التطبيقي وتعليم العربية.

فهذا الكتاب "فصول في علم اللغة العربية" بات جزء من مشاريع الكتب العربية، لأنه العلاقة عبده الراجحي له الكثير من الكتب في اللغة العربية؛ كتب لغوية تعالج قضايا الدرس اللغوي ومجال البحث فيه.

فقد ساهم عبده الراجحي في هذا المجال في توسيع دائرة البحث في الجامعات العربية وإضافة مشروع يتناول علم اللغة وأهم مجالاته.

ما نلاحظه من خلال هذا المؤلف فقد تناول "الدكتور عبده الراجحي[3]" لقضايا أو لدراسات سابقة، فقد تناول الحديث عن فقه اللغة وعلم اللغة التطبيقي قد ورد كذلك في كتاب له علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، وقد تعرض للحديث عن العوامل الاجتماعية والثقافية وقد ورد هذا في كتاب أسس علم اللغة والفصول الأخرى قد وردت في مؤتمر له "أنثروبولوجية مصر"، فهذه فصول أخذها من كتب له فقد تعرض لها سابقا دون نقد أو زيادة. فيعتبر كتاب "فصول في علم اللغة" طرح أو التعرض لإشكالية سابقة الطرح.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص 95.

الفصل الأول:

الوصف الخارجي للكتاب:

لقد تضمن كتاب فصول في علم اللّغة لعبده الراجحي، مقدمة وسبعة فصول وفهرس للموضوعات أما الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع لم ترد في هذا الكتاب، كما احتوى على مائة وستة وسبعون صفحة.

المبحث الأول:

أولا: اسم الكتاب وطبعته:

أشار " عبده الراجحي " إلى عنوان كتابه " فصول في علم اللّغة " كما أشار في مقدمة هذا الكتاب بقوله " فهذه فصول كتبت في فترات متفرقة منه –على ربع قرن – نقدمها إلى الدارسين الغير متخصصين ممن يرغبون في الاتصال بعلم اللّغة ومعرفة بعض مجلاته فاسم الكتاب يشير إلى أنّ هذه الفصول أخذت من كتب له على فترات متفرّقة، " فقه اللّغة في الكتب العربية "، " أنثروبولوجية مصر " " علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربية " أسس علم اللّغة كلّ هذه تمثلت في كتب ومؤتمرات سابقة الطرح وأعاد طرحها في هذا الكتاب الموسوم ب " فصول في علم اللّغة "

فقد ظهر اسم هذا الكتاب واضحا من خلال الفصول التي أخذها عبده الراجحي من كتب له وأعاد طرحها دون نقد أو زيادة أو بيان.[4]

ثانيا طبعته:

[4] ينظر: عبده الراجحي، فصول في علم اللّغة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، د،ط، 2016، ص 2 وما بعدها.

ما ورد في هذا الكتاب دار النشر لدار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع والإسكندرية جمهورية مصر العربية " أما طبعة الكتاب لم نرد ولا توجد طبعتان السابقة لهذا الكتاب، ولقد نشر سنة 2016 م باعتباره كتاب جديد الطرح متمثلة في 176 صفحة

ثالثا: التعليق على صورة الغلاف:

جاءت صورة الغلاف بلونين هو الأصفر والأبيض فاللون الأصفر ذهبي مائل، كتب به عنوان الكتاب أما اللّون الأبيض فقد كتب به اسم صاحب الكتاب والجامعة التي يدّرس فيها " أستاذ العلوم اللّغوية كلّية الآداب – جامعة الإسكندرية – كما ورد آخر غلاف هذا الكتاب بلون أصفر وكتبت عليه في الأسفل دار النشر، كما كتبت دار الطبع " دار المعرفة الجامعية طبع نشر وتوزيع " بلون أبيض حجم الخط صغير.

رابعا: حجم الكتاب:

هذا الكتاب لعبده الراجحي في علم اللّغة بشكل ورقي نوعية عادية أما فيما يخص الحجم فهو بطول 24 سم وعرض 17 سم

المبحث الثاني:

أولا: البناء الداخلي للكتاب:

مقدمة الكتاب:

- عرض عبده الراجحي مقدمة وجيزة في صفحة واحدة، تتحدث عن علم اللغة ومجلاته.
- كما عرض لفصول هذا الكتاب، وأهم المصادر التي أخذ منها مادته العلمية
- ***فصول الكتاب:***

اشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول تعالج علم فصول في علم اللّغة .

- ***الفصل الأول:***
- ***فقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين:***

فقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين، فقد عالج عبده الراجحي في هذا الفصل:

1- الخلط الذي وقع بين هذين المصطلحين " فقه اللّغة " و " علم اللّغة ".

وقد ورد هذا الخلط واضحا من خلال الكتب التي ذكرها:

كتاب الدكتور عبد الواحد وافي " فقه اللّغة ".[5]

كتاب الأستاذ أحمد المبارك " فقه اللّغة "

كتاب الدكتور صبحي الصالح " دراسات فـي فقه اللّغة "

كتاب الدكتور إبراهيم السامرائي " فقه اللّغة المقارن "

[5] المرجع السابق، ص 9.

- ويقول في هذا الصدد: " وقد أدى ذلك كله إلى لبس غير هين لدى الطلاب خاصة، وخاصة لدى دارسي اللّغة على وجه العموم، خاصة أنّ معظم هؤلاء الكتاب قد سويّ بين " فقه اللّغة " و " علم اللّغة "

-وقد ورد أيضا في هذا الفصل:

-تتبع نشأة الدرس اللّغوي يعين على فهم علم اللّغة وفقه اللّغة:[6]

-اليونان ودرسهم الفلسفي للغة

-المنهج الهندي منهج وصفي.

باينني

مدرسة الإسكندرية ومنهج فقه اللّغة.

القرون الوسطى ودراسة اللاتينية واليونانية.

بنتش والدراسة المقارنة.

كشف اللّغة السنسكريتية.

التقسيم السلالي للغات

راسك شليجل وبوب " التقسيم السلالي للغات "

فقه اللّغة المقارن

جريم والنحو التاريخي.

النحويين الجدد

السنسكريتية كانت أساس البحث اللّغوي

مؤرخو اللّغة الغربيون لا يعرضون لعلماء العرب.

درس اللّغة " المكتوبة "

المقارنة بين اللّغات التي تنتمي إلى الهندية والأوربية

إعادة تشكيل اللّغات القديمة

[6] ينظر: عبده الراجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية بيروت، د.ط، د.ت، ص 11.

حيث يقول في هذا الصدد: " ولنتقدم الآن في محاولة لمعرفة حدود " فقه اللّغة " و" علم اللّغة "، والطريقة الصحيحة فيما يبدو لنا – هي أنّ نتتبع نشأة هذين العلمين على ما يذكره مؤرخو الدرس اللّغوي من الغربيين الذين أخذ عنهم علماؤنا في العصر الحديث "

بدأ التمييز بين علم اللّغة وفقه اللّغة:

المناداة بأن اللّغة " أمر طبيعي "

إدراج علم اللّغة تحت العلوم الطبيعية

تحديد علم اللّغة عند سوسير

موضوع علم اللّغة هو اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها

علم اللّغة يستعين بعلوم كثيرة.

الفصل الثاني:

فقه اللّغة وعلم اللّغة عند العرب:

يقول الدكتور عبده الراجحي : من الحقائق المقررة أنّ الحياة العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم، ذلك أنّ المسلمين لم يرو في قرآنهم كتابا يتلى في الصلوات أو ترتيل في المناسبات، ولكنهم آمنوا به كتابا ينظم حياتهم كلها بحيث أن تتسق هذه الحياة مع ما جاء به القرآن الكريم، ومن هذه الحقيقة الكبرى في حياة المسلمين كانت حركاتهم نحو العلم في سبيل فهم النص الكريم والوصول إلى ما يحتويه من أحكام . [7]

وما يندرج تحت هذا الفصل من عناوين نوجزها في النقاط التالية:

نشأة الحياة العلمية العربية في ظل القرآن

الحياة العلمية العربية لا تصح دراستها إلا من داخلها

الصلة بين اللّغة والإسلام

مصطلحات العرب عن (اللّغة) و (النحو) و (العربية)

اللّغة وجمع الألفاظ

النحو عند القدماء

علم العربية

القرن الرابع ومصطلح فقه اللّغة

ابن فارس وكتابه الصحابي

مادة الكتاب

الثعالبي وكتابه فقه اللّغة

اعتماد الثعالبي على ابن فارس

[7] ينظر: فصول في علم اللّغة، المرجع السابق، ص 15.

القسم الأول من كتاب الثعالبي معجم خاص

ابن جني معتزلي

تأثره بفقه الكلام وأصول الفقه منهج العرب في درس أهو في فقه " اللّغة " أم في " علم اللّغة "

مستويات درس اللّغة أربعة " صوتية وصرفية ونحوية ودلالية.[8]

المسائل العامة

مناهج علم اللّغة: المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

هذه هي المعالم الرئيسية لتطور الدرس اللّغوي عند الغربيين في القرن التاسع عشر.

4- اختلافات كثيرة بين اللّغويين المحدثين:

الفرق الواضح بين " فقه اللّغة " ومنهج اللّغة "

اختلاف الغربيين حول مصطلح فقه اللّغة

المدرسة الانجليزية والألمانية والأمريكية

فقه اللّغة في الجامعات المصرية

حيث يقول عبده الراجحي في هذا الصدد " وغني عن البيان الآن أنّ هناك فرق واضحا بين موضوعي العلمين ومنهجيهما في درس اللّغة، وهذا الفرق ينبغي أنّ يكون واضحا عند بحث المنهج اللّغوي عند العرب، وهو ما تتقدم للحديث عنه في الفصول التالية"

ومهما يكن من أمر فإنّ تطوّر " علم اللّغة " في هذا القرن على اختلاف مناهجه ومدارسه قد ساعد على التمييز الواضح بينه وبين فقه اللّغة.

حيث أورد المؤلف في هذا الفصل بقوله " فإننا نرى الدرس اللّغوي عند العرب القدماء مندرجا تحت " علم اللّغة " وليس تحت " فقه اللّغة "، ومن

[8] ينظر: فقه اللّغة في الكتب العربية، المرجع السابق، ص 47.

الصالح أنّ نتفق في دراستنا على مصطلح واحد يكون أكثر دلالة على الموضوع والمنهج، ومن الواضح أنّ مصطلح فقه اللّغة لا يشير عن قريب أو بعيد إلى طريقة العرب القدماء فضلا عما يحيط به من غموض وما يعتوره من خلال.[9]

الفصل الثالث:

علم اللّغة الاجتماعي:

إنّ دراسة موضوع اللّغة طالما شغل بال الباحثين منذ القدم، فاللّغة هي أهم ما يميّز الإنسان، وهي أخطر نشاط إنساني، ولا يكاد يتصور نشاط إنساني بدون لغة، وهذا ما يدركه اللّغويون بمناداتهم بعلمية الدرس اللّغوي واستقلاله، وذلك أنّ دراستهم لا يمكن أنّ تعتمد على ط اللّغة " وحدها، بل إنّ علماء اللّغة يستعينون بعلوم أخرى كالجغرافيا والإحصاء والفيزياء وعلم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها وقد أدى اتصال علم اللّغة بهذا النوع من الفروع إلى نشأة فروح البحث، أحدثها وأوسعها انتشارا الآن، هو ما يعرف بعلم اللّغة الاجتماعي sociolinguistiques

أما ما يندرج تحت هذا الفصل من مباحث تمثلت فيما يلي:

علم اللّغة الاجتماعي.

الأنثروبولوجيون ودراسة اللّغة.

اللّغة والاتصال

اللّغة الجانبية

[9] ينظر: فصول في علم اللّغة، ص ....

اللّغة والاتصال – اللّغة والحركة الجسمية

اللّغة والاتصال – اللّغة عند الحيوان

اللّهجات الإقليمية

اللّهجات الاجتماعية

المبحث الأول:

1/ علم اللّغة الاجتماعي:

قد أشار عبده الراجحي في هذا الفصل إلى منهج علم اللّغة الاجتماعي في صورته الحالية بقوله.

والحق أنّ اتصال البحث اللّغوي بعلوم المجتمع يرجع إلى القرن التاسع عشر وقد ظهرت مصطلحات كثيرة تشير إلى تطوّر هذا الاتصال، وقد تفيدنا في الكشف عن منهج علم اللّغة الاجتماعي في صورته الحالية:

الفيلولوجيا الانثوجغرافية

الانثولوجيا الفيلولوجية

الانثروبولوجيا اللّغوية

سيسيولوجية اللّغة

علم اللّغة السيسيولوجي

علم اللّغة الانثولوجي

علم اللّغة النفسي

علم اللّغة الاجتماعي

وهذا التطور يشير إلى أنّ استقرار المصطلحات على هذا النحو في السنوات الأخيرة يدل على أنّ " الدرس اللّغوي " هو الأساس في هذه العلوم، فنحن

ندرس الآن علم اللّغة الاجتماعي، وليس علم الاجتماع اللّغوي، وعلم اللّغة النفسي، وليس علم النفس اللّغوي وهكذا.[10]

المبحث الثاني:

2/ الانثروبولوجيا ودراسة اللّغة:

ويندرج تحت هذا المبحث:

1- اللّغة والجنس 2- اللّغات البدائية 3- أصل اللّغة 4- اللّغة والأسطورة 5- نظرية سياق الحال

اللّغة والاتصال: وسنعرض هنا لثلاثة جوانب.

- اللّغة الجانبية
- اللّغة والحركة الجسمية
- الاتصال الحيواني واللّغة.

المبحث الثالث:

3/ اللّغة والاتصال – اللّغة والحركة الجسمية

المبحث الرابع:

4/- اللّغة والاتصال عند الحيوان:

وهذه الدراسات عن نظم الاتصال عند الحيوان أفضت إلى تأكيد الخصائص المميزة للغة الإنسانية، وهي ما يمكن أنّ نوجزها فيما يلي:

1- الثنائية 2- الخلق أو الإنتاجية 3- التحكمية 4- التبادل الداخلي 5- الشمول 6- التخصص 7- النقل الثقافي. [11]

[10] ينظر: فصول في علم اللّغة، ص 48

المبحث الخامس:

5/- اللّهجات الإقليمية.

المبحث السادس:

6/- اللّهجات الاجتماعية:

- وقد أوضح المؤلف، أنه غني عن البيان أنّ التنوع اللّغوي في صورته الاجتماعية يشمل كل المستويات اللّغوية، الصوتية والنحوية والدلالية.
- اللّهجة والعمر 2- اللّهجة والجنس 3- اللّهجة والمهنة.[12]

الفصل الرابع:

اللّغة والثقافة في مصر في العقد الأخير:

نجد في هذا الفصل أن الدكتور عبده الراجحي قد تحدث عن الثقافة بأنها تشكل السلوك المعرفي والوجداني للإنسان فيما يتعلق بالعيش، والتفكير، والشعور والارتباط بالآخرين، وأن اللغة أهم مظاهر التعبير عند الثقافة ،وهي التي تشكل نظرة المجتمع إلى العام .

الفصل الخامس:

علم اللغة التطبيقي (المصطلح والمعنى).

تمثلت مباحث هذا الفصل فيما يلي :

[11] ينظر: المرجع السابق، ص 96-104.
[12] ينظر: المرجع السابق، ص 110.

المبحث الأول: *ظهور المصطلح.*

المبحث الثاني: *معناه ومجالاته.*

المبحث الثالث: *علم اللغة التطبيقي ومصادره العلمية.*

هناك أربعة علوم تمثل المصادر الأساسية لعلم اللغة التطبيقي هي:

1- علم اللغة.

2- علم اللغة النفسي.

3- علم اللغة الاجتماعي.

وقد ذكر عبده الراجحي:

أ- اللغة والثقافة

ب- اللغة والاتصال

ج- الأحداث الكلامية

د- الوظائف اللغوية

هـ- التنوع اللغوي

4- علم التربية :

وبعيدا عن الحديث المفصل أيضا نشير إلى المسائل التي تتصل بموضوع علم التربية اتصالا مباشرا.

أ- نظرية التعلم

ب- خصائص المتعلم

ج-الإجراءات التعليمية

د- الوسائل التعليمية

المبحث الرابع:

علاقة علم اللّغة التطبيقي بهذه المصادر:[13]

باتت علاقة علم اللّغة التطبيقي بهذه المصادر الأربعة واضحة حيث يقول الدكتور ***عبده الراجحي*** " هذه هي المصادر الأربعة التي يستمد منها علم اللّغة التطبيقي مادته في تعليم اللّغة، وهي جميعا مصادر تتصدى للّغة الإنسانية من زوايا ما، ويمثل علم اللّغة التطبيقي الجسر الذي يربط بين هذه العلوم، وقد اتضح لنا الآن أنّ علم اللّغة يقدم وصفا علميا للغة، وأنّ علم اللّغة النفسي يقدم درسا للسلوك اللّغوي عند الجماعة، وانّ علم التربية يقدم الإجراءات التعليمية، وليس معنى ذلك أنّ علم اللّغة التطبيقي يستند إلى هذه العلوم الأربعة فحسب؛ بل أنه يتوجه إلى أي مصدر ينسيهم في حل " مشكلة " تعليم اللّغة، ومن ثم يتصف بالمرونة وبالقدرة على التطور والتغيير بما يعين على تحسين سبل الحل.

الفصل السادس:

اكتساب اللّغة ومستقبل تعليم العربية:

[13] ينظر: المرجع السابق، ص 113.141.

أشار عبده الراجحي بقوله " أيها السادة إن أقل ما يقال عن تعليم العربية الآن في مصر وفي العالم العربي إنه تعليم مريض، ولا حاجة لنا أن نسطح المسألة فنعلقها على مشكلة الازدواج اللّغوي، لأنّ المسألة من قبل ومن بعد مسألة " علم" والعجيب أنّ الأصوات ترتفع كل يوم في كل مكان في العالم العربي عن التنمية، ألا فليعلموا أنه لا تنمية بدون تعليم لغوي سليم ينبني على أساس من العلم.

الفصل السابع:

العوامل الاجتماعية والثقافية:

تعتبر الثقافة نمط من أنماط السلوك المعرفي والوجداني يكون صيغة للوجود الشخصي والاجتماعي وتمثل أهمية جوهرية في تعلم لغة أجنبية، فاللّغة جزء من الثقافة والثقافة جزء من اللّغة، ومن ثم فإنّ اكتساب لغة أجنبية يعني اكتساب ثقافة أجنبية.

ونعرض في هذا الفصل أهم الجوانب في تعلم اللّغة الأجنبية:

المبحث الأول: الانطباعات الذهنية عن الثقافة.

المبحث الثاني: الاتجاهات

المبحث الثالث: التطبع الثقافي.

المبحث الرابع: التفاوت الاجتماعي.

أ/ – التفاوت الاجتماعي التقديري المثالي.

المبحث الخامس: تعلم اللّغة الثانية والأجنبية .

المبحث السادس: اللّغة والفكر والثقافة.

المبحث السابع: في قاعة الدرس.

أ/- الطريقة الإيحائية .

ب/- الطريقة الصامتة.

حيث يقول ***عبده الراجحي*** في هذا الصدد " فالطريقة الإيحائية تعلمنا كيف نفيد من قدرات العقل البشري، وكيف نوظف الاسترخاء في قاعة الدرس، وكيف نستخدم الموسيقى في الوصول إلى هذا الاسترخاء، وتمدّنا الطريقة الصامتة بمبادئ ملائمة حقا، وإذ يميل المدّرسون إلى أنّ يقدّموا لطلابهم كل شيء على طبق من فضة؛ تعلّمنا هذه الطريقة كيف ندعم التعلم الاستكشافي لدى الدارسين بأنّ يقلّل المدرسون من الكلام وأنّ يفسحوا المجال للطّلاب أنّ يستخلصوا بأنفسهم ما يراد لهم أنّ يتعلموه. [14]

مصادر الكتاب:

الكتب التي استقى منها " ***عبده الراجحي*** " مادته العلمية تمثلت في كتب عربية وكتب أجنبية، تمثلت فيما يلي:

من خلال تصفح الكتاب واستقرائه والنظر في مسائله والتحول في أبوابه والخوض في أبوابه وفصوله نجد أنّ ***عبده الراجحي*** استقى مادته العلمية من عدّة كتب تمثلت في ما يلي:

[14] ينظر: المرجع السابق، ص 175.

أولا: المصدر العربية:

- ***إبراهيم السامرائي.***التوزيع اللّغوي الجغرافي. معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة 1968 م
- ***ابن الأنبا ري:***نزهة الألباب في طبقات الأدباء، مطبعة المعارف، بغداد، 1959 م.
- ***ابن جني:***الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب القاهرة، 1952 م
- ***ابن خلدون:*** المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، 1962م، ج 4
- **ابن عبد ربه** العقد الفريد
- ***أبو حيان:***البحر المحيط، ط السعادة، 1328 هـ، 4/ 271 .فوات الوفيات، القاهرة، 1951 م 52/2.
- ***أحمد* أبو زيد** البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م
- ***أحمد حسين شرف الدين*** لهجات اليمن قديما وحديثا – مطبعة الجبلاوي بالقاهرة 1970 م –
- ***أحمد خليل:****التصور اللّغوي عند العرب، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، عدد رقم 14 سنة 1960م.*
- ***أحمد زكي صالح:****نظريات التعلم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983* م
- ***السيوطي:*** الإتقان في علوم القرآن، القاهرة 1935 م . المزهر.

- ***بريتشارد ايفا نز:*** الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد، الهيئة العامة المصرية للكتاب ط 3 1972 م
- ***تمام حسان:****اللّغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980* م
- ***الثعالبي:*** فقه اللّغة، القاهرة، 1284هـ.فقه اللّغة وسر العربية، المطبعة الأدبية، 1317 هـ.
- ***الجاحظ:*** البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ***حازم البكري*** دراسات في الألفاظ العامية الموصلية، مطبعة أسعد، بغداد 1972 م
- ***الدكتور إبراهيم السامرائي :***فقه اللّغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1968 م
- ***رفائيل نخلة اليسوعي:***غرائب اللّهجة اللّبنانية والسورية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1962م
- ***زكي مبارك:*** النقد الفني في القرن الرابع، المطبعة التجارية، 1957 م، ج 2.
- ***سيبويه:***الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 364/2.
- ***صبحي الصالح:***دراسات في فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق، 1960 م
- ***عبد الحميد نشواتي:***علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان، 1984 م.
- ***عبد العزيز مطر:*** خصائص اللّهجة الكويتية، دراسة لغوية ميدانية، مطبعة الرسالة بالكويت 1969م .لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، دار الكتاب العربي بالقاهرة 1968 م

- ***عبد الله عبد الحي موسى:*** بحوث في علم النفس التربوي، الخانجي، القاهرة، 1981م
- ***عبد المنعم سيد عبد العالي:*** لهجة شمال المغرب،(تطوان وما حولها)، دار الكاتب العربي بالقاهرة، 1968 م
- ***عبده الراجحي:*** فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف بمصر 1968م .النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية، 1977 م
- ***علي عبد الواحد وافي:*** فقه اللّغة (طبع أول مرة 1941 م ثم توالت طبعاته بعد ذلك، وقد اعتمدنا في هذا البحث على الطبعة الخامسة، لجنة البيان العربي 1962 م) علم اللّغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- ***علي عبد الواحد وافي:*** اللّغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1951م
- ***فاطمة محجوب:*** دراسات في علم اللّغة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م
- ***كمال بشر:*** دراسات في علم اللّغة، دار المعارف بمصر، 1969م، القسم الثاني.التفكير اللّغوي عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث، دراسات في علم اللّغة، القسم الثاني.
- ***لويس:*** اللّغة والمجتمع، ترجمة دكتور تمام حسان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م
- ***ماسينيوس:*** تعليقات على لهجة بغداد العربية، ترجمة دكتور أكرم فاضل، مركز الفولكلور العراقي في وزارة الإرشاد، 1962م

- ***محمد أبو الفرج:*** مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار النهضة العربية، بيروت 1966 محاضرة ألن هو: الدراسة اللّغوية للغات (the linguistic study of languages).
- ***محمد المبارك:*** فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق، 1960م
- ***محمود السعران:*** اللّغة والمجتمع، المطبعة الأهلية، بنغازي 1958م .علم اللّغة، دار المعارف، بمصر، 1962 م.
- ***محمود فهمي حجازي:*** الموجز علم اللّغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، العدد 249 ص 20
- ***بيسبر سن:*** اللّغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة الدكتور عبد الرحمان أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1954م.
- ***ثانيا المصادر الأوروبية:***

Ardener Edwin

Social anthropology and language, Tarrstok publication London. 1971

birduilistell rayl.

Kinesics, context, Essays motion communication, edited by Barton Jones, university of Pennsylvania, press, Philadelphia, 1970.

Honesty noom

Syntactic structures, mouton co .the Hague 1957

Clevenger Theodore and mottos jack

Communication process, Scott, foremen and company, Glenview, Illinois, 1971.

Firth I , r

Papers in linguistics, oxford university press, London, 1957.

Selected papers, edited by planer, Longmans 1968

hall Robert Introductory linguistics, motilal banarsidas, Delhi, 1969

Logons john

New horizons in linguistics, sanguine books, 1970

Malmstrom jean language in society, Higden book company, inc, new jersey, 1968

Ogden and Richards: the meaning of meaning, Rutledge & kegan Paul l t d, London, tenth edlation, 1949

Robin chain amcient west Arabia, London 1951

Samarin urilion feeld linguistics, holt, rime hart and ursten, new York, 1976

Shuy, wolfram, riley. Fild techniques in an urban , language study, center for applied linguistics, Washington 1968.

Wordhaugh raneld introduction to linguistics, mr gvaw, hill, inc, new York, 1972.

Jespersen, Otto: language, its language; its nature, development and origin, London, 1964.

De Saussure, Ferdinand: ceresin general linguistics, translated by wade basten, 1964.

Ibid.

Enc, American language

Bloomfield, Leonard:

Language, london1950

Breezing f . M

Lectures' on linguistics, Moscow 1969

Robins r . H

general linguistics, an introductory server, London, 1964

Larson, Ronald n and sralley

William a. 1972: becoming bilingual. A guide to language to language learnery, new Garran

Cardoon e c 1973: Introduction to crass cultural communication, new jersey. Rutgers university.

Adler, peter s 1972: cultural shok and the Gross Learning experience. Pittsburgh.

Clark, mark a 1967: second language acquisition as a clash of conxiosness .language learning.

Crustal, d , sirection in applied linguistics.

Academic paess 1981. Wilkins, d: linguistics in langage teaching, London, 1972.

Mactey, w : language didactiques and Applied linguistics, in : oller and

Richards, focus on the Lerner: pragmatic perspectives for the language tusker, Rowley, mass 1973.

Solsky, b: educational linguistics, an introduction, Rowley, ;ass 1978.

Bausch, k , urwort: zeitxrift fur literatureuissenxhat and linguistic, 13 , 1974.

Kaplan, Robert eds: on the xope of applied linguistics, 1980.

Gorder, s: problems and solutions in applied linguistics, in cristgaard et al, applied linguistics. Problems and solutions, Heidelberg, 1974.

Els, t , and other: applied linguistics. And the learning and teaching of foreign languages, Edward Arnold, London, 1984.

Corder, s: introducing applied linguistics, penguin. 1973.

De Saussure. F : course in general linguistics, London, 1966.

Clark, h ,e Clark: psycolology and language, an introduction to psycholinguistics , new York, 1977.

Foss, d ,d hakes: psycholinguistics: an introduction to the psycho***lguig of language, England cliffs, 1978.***

Slobin, d: psycholinguistics, glen view, 1979.

Trudgill, p: sociolinguistics, an introduction, harmon dsuvrth, 1979.

Ditmen- n- sociolinguistics: acritical survey of theory and application, London, 1976

Labor, w: sociolinguistic patterns, Philadelphia ,1972.

عن النحو التعليمي أنظر:

Candling, c: The status of pedagogical grammars, in: corder, s, e roulette eds theoretical linguistics models in applied linguistics, Paris, 1973.

Ruther ford , w : aspects pedagogical grammars, applied linguistics, 1980.

James, a , p ,westney: new linguistics inpuless in foreign language teaching, Tubingen, 1981.

في علاقة علم اللّغة التطبيقي بعلم اللّغة:

Diller, k: linguistics in language teaching , London, 1972.

John Somme: divotions.

Larson and smelly 1973 " 39 "

Condon 1973

Murdock, g, p. 1961.

The innocent abroad.

Francois livers le peint نشر ذلك في المجلة الباريسية

Oller, Hudson and lin 1977, chihara and oller 1978.

Oller, baca and uigil 1978.

الفهرس:

الموضوع	***الصفحة***
الفصل الأول:	
فقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين.	5

الفصل الثاني:

فقه اللّغة وعلم اللّغة عند العرب. 25

الفصل الثالث:

علم اللّغة الاجتماعي. 49

الفص الرابع:

اللّغة والثقافة في مصر في العقد الأخير. 111

الفصل الخامس:

علم اللّغة التطبيقي (المصطلح والمعنى) 119

الفصل السادس:

اكتساب اللّغة ومستقبل تعليم العربية. 145

الفصل السابع:

العوامل الاجتماعية والثقافية. 151

الـفـصـل الثاني:

تلخيص مضمون الكتاب:

فـقه اللّغة وعلم اللّغة عند الغربيين:

الخلط بين فقه اللّغة وعلم اللّغة:

عرفت الدراسات اللّغوية في جامعاتنا مصطلح "فقه اللّغة"، ثم عرفت مصطلح "علم اللّغة"، ولم يسلم استعمال المصطلحين من خطأين إلى اضطراب في فهم كلّ علم وفي تحديد ميدانه، فرأينا من يكتب كتابا في فقه اللّغة وهو يعني علم اللّغة[15] مع شيء من التوسع في استعمال هذا المصطلح، إذ يعرض فيه لبحوث تتعلق بحياة اللّغة وما يطرأ عليها من تغيّر، ولبحوث تتعلق بدراسة الأصوات التي تتألف منها اللّغة، ولبحوث تتعلق باللّغة من حيث دلالتها، ثم نجد من يكتب كتابا في فقه اللّغة [16] ويقرنه بعنوان توضيحي هو دراسة تحليله مقارنة للكلمة العربية، ويعرض فيه للأصوات اللّغوية والاشتقاق والأبنية والأوزان ومعاني الألفاظ، ثم كتب الدكتور " صبحي صالح " كتابه " دراسة في فقه اللّغة " فعرض فيها للعربية بين أخواتها السامية وخصائص العربية من إعراب ومن مناسبة حروف العربية لمعانيها ومن المناسبة الوضعية وأنواع الاشتقاق والنحت وغيرها.

- كما كتب الدكتور " إبراهيم السامرائي كتابه " فقه اللّغة المقارن " جمع فيه مجموعة من المقالات المتنوعة كالعربية بين الجمود والتطوّر والتوليد والثقافة العربية والإقليمية.[17]

---

[15] هو كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي: فقه اللّغة (طبع أول مرة 1941 ثم توالت طبعاته بعد ذلك وقد اعتمدنا في هذا البحث على الطبعة الخامسة، لجنة البيان العربي 1962). وقد أشار أيضا إلى هذا الخلط عنده الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه الموجز " علم اللّغة بين التراث والمناهج الحديثة " المكتبة الثقافية العدد 249، ص 20.

[16] محمد المبارك فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق 1960.

[17] دو صبحي الصالح: دراسات في فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق 1960.

هذا ما أدى إلى لبس لدى الطّلاب خاصة ولدى دارسي اللّغة على وجه العموم ففي كتاب الدكتور " علي عبد الواحد " وفي سور فقه اللّغة وعلم اللّغة فهو لا يفرق بينهما تقريبا واضحا، غير أنّ فقه اللّغة عنده يختص بالبحوث المتصلة بالعربية وحدها، يقول " أما علم اللّغة نفسه فقد درس المؤلفون من العرب بعضهما تحت أسماء مختلفة أشهرها " فقه اللّغة " وهذه التسمية هي خير ما يوضع لهذه البحوث، فإنّ فقه الشيء هو كلّ ما يتصل بفلسفته وفهمه والوقوف على ما يسير عليه من قوانين.

كذلك نجد في كتاب الأستاذ " محمد المبارك " " فقه اللّغة " فهو يقرر أن نطلق عليه أحد الاسمين " علم اللّغة " أو " فقه اللّغة " وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللّغة، ويقرر الدكتور " صبحي الصالح " (أنّ من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللّغة وفقه اللّغة لأنّ جلّ مباحثهما متداخلة بين علماء اللّغة في الشرق والغرب، قديما وحديثا)، كما اقترح على الباحثين المعاصرين الاستبدال لهذه التسمية القديمة شيئا (أي فقه اللّغة) وإن يعمموها على جميع البحوث اللّغوية لأنّ كلّ علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أنّ تسمى فقها.

على أنّ باحثينا الذين اتصل بعلم اللّغة في مناهجه الحديث يلفتون إلى الفرق الواضح بين علم اللّغة وفقه اللّغة.

1- اليونان ودرسهم الفلسفي في اللّغة.

2- الهندي منهج وصفي.

3- أراء بأنيني اللّغوية التي لا تزال حتى الآن في وصف الظواهر اللّغوية.

4- مدرسة الإسكندرية ومنهج فقه اللّغة.

5- القرون الوسطى ودراسة اليونانية واللاتينية.

- ولعل أول دراسة قامة بها " دبي نتشا " وأصدر سنة 1976 كتابه (مقارنة وتقدير فلسفيان نقديان لأرع عشرة لغة أوربية قديمة وحديثة)

6- كشف اللّغة السنسكريتية

7- التقسيم السلالي للغات

8- رسموس راسك – فريدريك فون شليجل – فرانز بوب .

9- فقه اللّغة المقارن.

10- جريم والنحو التاريخي

11- النحويون الجدد

12- السنسكريتية كانت أساس البحث اللّغوي [18]

- هذه المعالم الرئيسية لتطور الدرس اللّغوي عند الغربيين في القرن التاسع عشر، ومنها تبين لنا ما يلي:

1- مؤرخون اللّغة الغربيون لا يعرضون لعلماء العرب

2- الاعتماد على درس اللّغة المكتوبة وليس اللّغة المنطوقة في التعليم

3- كشف اللّغة السنسكريتية أدى إلى نشأة ما يعرف بفقه اللّغة

4- إنّ السنسكريتية أدت إلى تصنيف اللّغات تصنيفا سلاليا

[18] د. إبراهيم السامرائي: فقه اللّغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت 1968م.

5- المقارنة بين اللّغات التي تنتمي إلى الهندية الأوروبية

6- إعادة تشكيل اللّغات القديمة [19]

- كان لأعمال بوب وراسك وجريم تأثير كسر على من خلفهم من باحثي اللّغة في ألمانيا وفي الأقطار الأوروبية الأخرى وقد مهدت لتطوير الدرس اللّغوي حيث بدأ التمييز بين " فقه اللّغة " و " علم اللّغة "

نعم لقد كان راسك عالما في فقه اللّغة " الأيسلندية " ، وكان بوب عالما في فقه اللّغة " السنسكريتية " وكان جريم عالما في فقه اللّغة " الجرمانية " ، فقد بدأ ينادون بأن اللّغة { موضوع طبيعي } .

وحين قسم الفلاسفة وعلماء مناهج البحث كل العلوم إلى علوم " عقلية " و علوم " طبيعية " أدرج اللّغويون علم اللّغة تحت علوم الطبيعية.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر بدأ علم اللّغة يأخذ حدوده الواضحة، وهنا تبرز أسماء ثلاثة من اللغويين الكبار هم " فرديناند دي سوسير " في أوربا و " بلوم فيلد " و " سباير " في أمريكا على خلاف بينهم في التأثير بالمناهج العلمية الأخرى التي كانت سائدة آنذاك [20]

وقد ظهر تحديد " علم اللّغة " حين أعلن دي سوسير أن موضوع علم اللّغة الصحيح هو اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها .

[19] للتوسع في تاريخ الدراسات اللّغوية عند الغربيين أنظر
a/ Jespersen: language. b/ Bloomfield, Leonard: language, London, 1950

[20] Jespersen: language page 65 / 66.

ولقد رأى اللّغويون أنّ علم اللّغة يستعين بعلوم كثيرة كالتاريخ والجغرافيات وعلم النفس وعلم الاجتماع العام وغيرها من العلوم.

وإذا كان اللّغويون يتفقون أنّ موضوع علم اللّغة هو اللّغة، ودراسة اللّغة تتدرج عندهم على مستويات أربعة { صوتية وصرفية ونحوية ودلالية } أما علم الأصوات فهو يدرس اللّغة من جوانب كثيرة، وأما الصرف فيدرس الوحدات الصرفية والصيغ اللّغوية وهو ما يعرف عندهم بمصطلح " morphology" والنحو ميدانه التراكيب؛ ويطلق عليه مصطلح " syntaxe " ويسميه آخرون " grammaire" أما علم الدلالة أو علم المعنى sémantiques فيدرس معاني المفردة ويدرس معاني المفردات والجمل والعبارات. [21]

ودراسة المسائل العامة للّغة سواء ما تعلق بماهيته ووظيفتها وطريقة جمع المادة اللّغوية ...الخ

وعلم اللّغة حين يدرس اللّغة على هذه المستويات، يتخذ ثلاثة مناهج هي: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن. [22]

كما أنّ هناك اختلافات كثيرة بين اللّغويين المحدثين ويرجع ذلك إلى المنهج الاجتماعي الذي ينتمي إليه هؤلاء اللّغويين.

فالفرق واضح بين علم اللّغة وعلم اللّغة، علم اللّغة يدرس اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بينما يعالج فقه اللّغة موضوع اللّغة باعتبارها وسيلة إلى غاية أخرى فميدانه أوسع وأشمل.

إنّ الغاية النهائية لفقه اللّغة هي دراسة الحضارة أو دراسة الأدب من خلال اللّغة فاختلف الغربيون حول مصطلح علم اللّغة وفقه اللّغة، فيقول " يسبي رسون " { إنّ فقه

[21] De Saussure: course in general linguistics, p 232.
[22] د. محمود السعران: علم اللّغة، دار المعارف بمصر، 1962، ص 262/ 281 .

اللّغة مرادف عند الانجليز للدراسة المقارنة بين اللّغات بينما يعني عند الآخرين دراسة حضارة معينة لأمة ما.

ولقد عرفت الجامعة المصرية فقه اللّغة حين وفد إليها عدد من المشرقين الأوربيين ليشتركوا بها فالتدريس أو لإنشائها، فعرف هذا العلم في بداية الأمر بمعناه الواسع من درس الحضارة، على أنّ فقه اللّغة قد اشتهر في الجامعات المصرية بأنه الدراسة المقارنة للّغة داخل " العائلة السامية " ، فكان الطلاب يفهمون موضوع هذا العلم بأنه بحث في مقارنة الألفاظ العربية وبعض تراكيبها باللّغات السامية وخاصة اللّغة العربية.

وغني عن اللّسان أنّ هناك فرقا واضحا بين موضوعي العلمين ومنهجهما في درس اللّغة، وهذا التفريق ينبغي أنّ يكون واضحا عند بحث المنهج اللّغوي عند العرب، وهو ما نتقدم للحديث عنه في الفصول التالية.[23]

الفصـل الثانـــــي:

فـقه اللّغة وعلم اللّغة عند العرب:

من الحقائق المقررة أنّ الحياة العلمية العربية نشأت في ظل القرآن الكريم، ومن هذه الحقيقة الكبرى في حياة المسلمين كانت حركتهم نحو العلم في سبيل فهم القرآن الكريم والوصول إلى ما يحتويه من أحكام.

فكانت قراءة القرآن الكريم عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدّد منهج القرآن، وكان التفسير بالأثر هو الأسبق بلا شك من التأويل، وكان الفقه أسبق من الأصول، ثم دراسة التراكيب اللّغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللّغة على ما رأينا بعد ذلك في القرن الرابع.

[23] د. زكي مبارك: النقد الفني في القرن الرابع. المطبعة التجارية: 1957م، ج2، ص 37

فاتخذ العرب منهجا علميا، وإذا كانت الحياة العلمية قد نشأة في رحاب القرآن الكريم وتطوّرت في رحابه فإنّ تاريخ هذه الحياة تأريخا موضوعيا، ينبغي أنّ يبدأ من هذه الحقيقة، أي أنّ الحياة العلمية العربية لا تتصح دراستها إلا من الداخل.

فعلم اللّغة عند العرب تأثر بمناهج الفقه والكلام، وتأثر الفقه والكلام بعلوم اللّغة.

ولقد فصّل الكثير من الباحثين في تاريخ الدرس اللّغوي عند العرب، وبخاصة عند تعرضهم لتاريخ النحو، وهم يرجعون نشأة هذا الدرس إلى انتشار اللّحن، نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام، أي أنّ الدرس اللّغوي نشأ لحفظ القرآن الكريم من اللّحن، لقد كان حفظ القرآن الكريم من اللّحن سببا من الأسباب لكن لم يكن السبب الأول ولم يكن الغاية من الدراسة، والسبب الحقيقي – فيما نعتقد – لنشأة علوم اللّغة عند العرب أنّما هو السعي لفهم النّص القرآني باعتباره مناطا للأحكام التي تنظم الحياة بها. وأنت لا تكاد تجد كتابا في التفسير أو الفقه أو الأصول إلا وفي مقدمته بيان بما ينبغي على درس أي من هذه العلوم أن يمتلك من أدوات الدرس وأولها العلوم العربية كما أنّك لا تكاد تجد كتابا من كتب اللّغة إلا وفيه تنبيه على الصلة بين درس اللّغة والقرآن، وقد ورد في قول الثعالبي والسيوطي أنّ اللّغة من الدين

ومن الواضح أنّ مقصدنا من هذا البحث ليس تاريخا للعلوم اللّغوية عند العرب علما؛ وأنّ ما القصد هو بيان المنهج الذي ساروا عليه والّذي ربما كان أكثر وضوحا فيما عرف بفقه اللّغة منذ فترة مبكرة ورد في تاريخ الدرس اللّغوي مصطلحات على أنها أسماء لعلوم لغوية معينة، ومن أشهر هذه المصطلحات اللّغة والنحو والعربية.

أما اللّغة كانوا يطلقونها علم العلم الذي يختص بجمع الألفاظ اللّغوية ودراستها أو هو التخصيص في إخراج المعاجم اللّغوية، وقد ظهر هذا المصطلح مع " الخليل " وأصحابه

" عمرو بن عثمان بن فنبر أو بشر المعروف بسيبويه " " والنضر بن شميل " ، وكان أبرعهم في النحو " سيبويه "

وقد أضاف ابن خلدون على مصطلح اللّغة " كلمة علم " فسماه " علم اللّغة "، ومن شرح له يتضح أنه يشمل علم المعاجم على اختلاف أنواعها سواء كانت متصلة بجمع الألفاظ اللّغوية عامة أم بجمع الألفاظ المندرجة تحت موضوع واحد، كانت متصلة بالمترادف والدخيل والمشترك.[24]

ونحسن أنّ هذا التجديد الذي أوضحه ابن خلدون هو الذي سار عليه العرب في فهمهم لمصطلح " اللّغة " أو " علم اللّغة "

أما مصطلح النحو فقد استعمل في فترة مبكرة جدا أيضا على ما رأينا من تقسيمهم لتلاميذ الخليل وتخصصهم لسيبويه بالنحو، على أنّ سيبويه ذكر هذا المصطلح في مواضع كثيرة من كتابه كقوله مثلا " وأما قول النحويين: أعطاهوك وأعطاهوني فإنما هو شيء قاسوه لم تتكلم به العرب ووضعوا الكلام في غير موضعه وكان قياس هذا لو تكلم به كان هينا " [25]

وكان النحو كما هو معروف مشتملا على النحو والصرف ولكننا نشير فحسب إلى أنّ سيبويه وإنّ كان قد جمع بينهم في كتابه فقد كان يميّز بينهما على نحو ما تراه ينص على ذلك بقوله في غير موضعه وسنبين ذلك في كتاب التصريف إن شاء الله ؛ وقد عرّفه ابن جنيّ فجعله شاملا للعلمين معا فقال: (النحو هو انتحاء سمت العرب)، في تصرفه

[24] ابن خلدون: المقدمة، ت علي عبد الواحد وافي ، القاهرة، 1962. ج4، ص 1258/1261
[25] سيبويه، الكتاب، ت عبد السلام هارون: 364/2.

إعرابا وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق أهل العربية أهلها في الفصاحة.[26]

ونلتقي بمصطلح آخر هو " علم العربية " وكان العرب يطلقونه على النحو أيضا؛ يقول ابن فارس: " وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أنّ القائل إذا قال: " ما أحسن زيد " لم يفرق بين التعجب والاستفهام والجزم والإعراب.

ونجد البغدادي يفرق بين " اللّغة " و " النحو " ، وما قرره أبو حيان من الفرق بين علم النحو وبين علم اللّغة، أنّ علم النحو هو موضوعه أمور كلّية وموضوع علم اللّغة أشياء جزئية.

نحن إذن أمام المصطلحات الآتية: اللّغة أو علم اللّغة، والنحو أو علم العربية، وقد عرضنا أنّ الأول يختص بدراسة الألفاظ اللّغوية من جوانب مختلفةّ وأنّ الثاني يختص بالتراكيب أو بالجمل على النحو الذي يفصله في موضعه.

وفي القرن الرابع نشهد مصطلحا جديد موقفه اللّغة حين كتب أبو الحسن أحمد بن فارس { ت395 هـ } كتابه الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العربية في كلامها، ثم نجد هذا المصطلح مع مؤلف آخر هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي { ت 42 هـ } الذي اشتهر بكتبه { فقه اللّغة وسر العربية } ، وفيما عادا هذين الكتابين لا يعرف كتاب آخر في فقه اللّغة فقد أوحى إلى المحدثين استعمال فقه اللّغة، فقد أوحى إلى المحدثين استعمال فقه اللّغة في مقابل اللّفظة الأوروبية على خلاف في المنهج بين استعمال الغربيين واستعمال العرب.

[26] ابن جني، الخصائص، ت :محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، 1952م :34/1

على أنّ هناك كتاب أقرب إلى هذين الكتابين دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى مصطلح " فقه اللّغة " فقد اختار له صاحبه عنوان أقرب إلى القوانين العامة التي تنظّم العربية، ونعني به الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني {ت 392 هـ } ونحسب أنّ هذا الكتاب قدرا كافيا يعين على تطور المنهج العربي في درس اللّغة.

والسؤال الذي نطرحه هل استعمل " ابن فارس " والثعالبي " مصطلح فقه اللّغة بنفس المعنى الذي فهمه الغربيون بعد ذلك، وإذا لم يكن يندرج تحت ما كتبه هذان المؤلفان الجليلان، ثم ماهو القصد الذي يرمي إليه أبو الفتح من عنوان كتابه الخصائص، وهل هو من قبيل فقه اللّغة أو علم آخر كذلك ؟

أما الكتاب الأول فهو كتاب الصاحبي في " فقه اللّغة وسنن العربية في كلامها " لأبي الحسن أحمد بن فارس، وهذا العنوان مأخوذ من لفظة الفقه بمعناها الاصطلاحي وبمعناها اللّغوي، فلقد كان الرجل فقيها قدّم أكثر من كتاب في الفقه فضلا عن الصلة التي كان يراها ابن فارس وغيره من اللّغويين العرب بين اللّغة والدين على العموم وبينها وبين الفقه على وجه الخصوص.

ومما يلفت النظر أنّ ابن فارس عاش حياته في فارس، وإنه كان أميل إلى الشيع كما كان من أنصار مدرسة الكوفة في اللّغة فقد كان أستاذه أبو بكر أحمد ابن الحسين الخطيب رواية لثعلب إمام مدرسة الكوفة في آخر حياته، وقد ذكر ابن فارس شيخه ثعلبا في أكثر من موضوع في كتابه.

وهذه المسألة ضرورية في فهم المنهج الذي سار عليه، وقد كتب ابن فارس كتابه الصاحبي باخرة من حياته بعد أنّ قد فرغ من كتابه سنة 382 هـ أي قبل وفاته بثلاثة عشر عاما.

وعنوان الكتاب يشير إلى أنه يعنى به نوعين من الدراسة الأولى فقه اللّغة والثانية سنن العرب في كلامها أما كلمة الصحابي فهي إشارة إلى أنه قدم كتابه إلى الصاحب بن عبّاد { 380 هـ }

ثم يصرح بأن درس اللّغة يتخذ طريقين أصل وفرع، والغاية من تأليف الكتاب هي خدمة النص القرآني، وهي قد تساعدنا على فهم قصده من تقسيم الدرس اللّغوي إلى أصل وفرع.

ومن الواضح أنه يقصد بالفروع درس الألفاظ اللّغوية على طريقة المعاجم، أما الأصول وسنن العربية فيعني بها دراسة القوانين العامة التي تنظم اللّغة، ولعله يعنى " بفقه اللّغة " القضايا العامة التي تخضع لها حياة اللّغة، على النحو الذي يظهر في عرضنا للمادة اللّغوية للكتاب.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن تصنيف مادة الكتاب على النحو التالي:

1-مسائل عامة في حياة اللّغة وتطوّرها.
2-مسائل صرفية.
3-مسائل نحوية.
4-مسائل دلالية.
5-مسائل أسلوبية.
6-مسائل بلاغية.[27]

[27] ينظر: الصاحبي ص 190-268

وهكذا يمكن تصور الهيكل العام للكتاب، على أنه من الواضح أنّ معظم مسائله متداخلة تداخلا شديد بحيث يصعب فصل كل موضوع عن الآخر، وتلك كانت سمة العصر التي تميّز منهج القدماء في التأليف أو فقدان المنهج كما يقولون[28].

أما الكتاب الثاني فهو كتاب أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي { ت 429 } فقه اللّغة وسر العربية، فقد كان متأخرا عن كتاب ابن جني، لأنه يحمل عنوان فقه اللّغة الذي اتخذه ابن فارس ولأنه اعتمد عليه في كثير من المواضع.

كما قدم ابن فارس كتابه إلى الصاحب بن عباد قدم الثعالبي كتابه إلى الأمير ابن الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي { ت 436 هـ } الذي افرد جزءا في مقدمته لمدحه وصحبته له هي التي أوحت إليه بمادة الكتاب.

كما أنّ أبا الفضل هو الذي اختار له عنوانه.[29]

والغاية من تأليف الكتاب هي خدمة النص القرآني توصلا إلى فهم أحكامه، والحقيقة أنّ الثعالبي اعتمد على كتاب ابن فارس اعتمادا كبيرا حتى أنه نقل عنه أبوابا بأكملها لم يغير حتى عناوينها ولا المادة التي تحتويها من أمثلة ذلك { فصل في إضافة الشيء إلى من ليس له لكن أضيف إليه لاتصاله به – " ابن فارس 249 "، و" الثعالبي 188 وغيرها من الفصول ".

أما الهيكل العام للكتاب فقد قسمه صاحبه إلى قسمين، سمي القسم الأول " فقه اللّغة " ضمّنه ثلاثين بابا ويشتمل كل فصل على عدّة أبواب وهذا القسم عبارة عن معجم من نوع خاص، جمع فيه الألفاظ المتصلة بموضوع واحد، ثمّ رتّبها حسب الموضوعات بدأ بباب

[28] ينظر: د. كمال بشر، دراسات في اللّغة- القسم الثاني، ص 52

[29] أنظر: فوات الوفيات، القاهرة، 1951م: 2/ 52.

في الكليات " وهي ما أطلق عليه أئمة اللّغة في تفسيره لفظة كلّ من ذلك: كل ما علاك وأظلك فهو سماء، كل أرض مستوية فهي صعيد وغيرها.[30]

أما الفصل فكله بحث على الألفاظ اللّغوية على مستويات معينة سوف تفصل القول فيها عند تحليلنا للمادة اللّغوية في الفصول التالية:

أما القسم الثاني سماه سر العربية، ومهما يكن من أمر فقد فصل بين " فقه اللّغة " و " سر العربية " بقوله في: القسم الثاني مما اشتمل عليه الكتاب وهو سر العربية في مجاري كلام العرب والاستشهاد بالقرآن على أكثرها.

كما عرض لبعض الخصائص والقوانين التي تتميز بها العربية في استعمالاتها المختلفة.

ولعل الفرق بينه وبين ابن فارس انه لم يعرض للقضايا اللّغوية العامة كالحديث عن اللّغة ونشأتها كما أدرج هذا تحت التطور اللّغوي، بالإضافة إلى أنه كان واضحا في قصره فقه اللّغة على دراسة الألفاظ اللّغوية على ما هو واضح في القسم الأول.

أما الكتاب الثالث فهو كتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني { 392 هـ } وهو غني عن التعريف ولا يحتاج إلى بيان وعنونته الكتاب بالخصائص دليل على أنّ فقه اللّغة لم يكن مصطلحا مقررا بين علماء اللّغة، وإنما أتت به المناسبة بينه وبين الفقه على ما بيناه، ولعل الخصائص أدل من معناها على مادة الدرس من تغيير " فقه اللّغة " لأنها تشير إلى القوانين العامة التي تنظّم اللّغة على ما عرف في أبواب الصرف والنحو.

ويجب أن نلفت النظر إلى ابن جني كان معتزلياً، ويظهر اعتزاله في أكثر من موضوع في كتبه وخاصة **كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، كما أنه أميل إلى مدرسة البصرة وذهب مذهب الكوفيين في غير موضع، وتلك مسألة مهمة في

[30] ينظر: الثعالبي: فقه اللّغة ص 16- 123.

فهم منهج أبي الفتح في درس اللّغة بنفس الدرجة التي أشرنا إليها عند حديثنا عن ابن فارس، فالمذهب المعتزلي بمنهجه العقلي سوف يؤثر على نظرة ابن جني إلى الظواهر اللّغوية على ما سيظهر لنا من تحليل المادة اللّغوية عنده، وابن جني يصرح في مقدمته الخصائص أنه يحتوي في تأليفه منهج علمي الكلام وأصول الفقه أي أنه يقصد منه إلى وضع منهج عام لدرس اللّغة يشبه وضع منهج الأصول الذي يحدّد طرائق الأصول في الفقه

وإذا كنا لا نستطيع أن نحيط بكتاب الخصائص في مثل هذا المجال، فنكتفي أنّ نشير إلى أنه يتضمن عدّة جوانب أظهرها ما يلي:

1-جوانب تتضمن قضايا عامة في حياة اللّغة.

2-جوانب تتضمن منهج البحث في اللّغة.

3-جوانب تشمل مستويات الدراسة اللّغوية من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، والآن هل نعتبر كتب ابن فارس وابن جني والثعالبي كتبا في **فقه اللّغة** أم في **علم اللّغة**.

علماء اللّغة يدرسون فقه يدرسون اللّغة باعتبارها وسيلة إلى غاية، وهذه الغاية دراسة الثقافة بما تشتمل عليه من ديانة وعادات وتقاليد وآداب.[31]

وعلماء العربية كانوا يدرسون اللّغة وسيلة لغاية لكنها غاية مختلفة عن غاية فقهاء اللّغة إذ هم يتوصلون بها إلى فهم النصوص القرآنية، كما ينتهون بها أيضا إلى درس لغة القرآن، وإن، كانوا قد اتخذوا الدرس اللّغوي وسيلة إلى غاية تدرس.

علماء اللّغة وصلوا إلى إعادة تشكيل اللّغات القديمة الأصلية.

علماء اللّغة كانوا يركزون معظم عملهم على المقارنات اللّغوية.

[31] ينظر: ابن جني الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، 1952 م ص 2 .3 .

علماء فقه اللّغة كانوا يدرسون اللّغة باعتبارها لغة ميتة أو لغة مكتوبة بينما درسوا العرب لغتهم باعتبارها لغة حية ولغة منطوقة، متمثلة في قراءات القرآن على وجه الخصوص.

علماء فقه اللّغة كانوا يهتمون بدراسة الكلمة، بينما اهتم علماء العربية بالتطور الدلالي لبعض الألفاظ

-1

علماء فقه اللّغة كانوا يهتمون بدراسة اللّهجات التي تفرعت إليها العائلة الهندية الأوربية على النحو الذي رأيناه عند جريم ومن جاء بعده، أما علماء العربية فقد قصروا دراستهم على اللّغة الموحدة باعتبارها لغة التنزيل الكريم.

من هذا كله يتبيّن أنّ الدرس اللّغوي كما تمثله كتب ابن فارس وابن جني والثعالبي لا يصح إدراجها تحت فقه اللّغة كما يفهمه أصحابه من الغربيين، وعلينا أنّ نبحث عن أسماء هذا الدرس إلى علم اللّغة على النحو التالي:

1- علم اللّغة يدرس اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

2- علم اللّغة يدرس اللّغة دراسة وصفية.

3- علم اللّغة يقسم درس اللّغة إلى مستويات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية.

4- علم اللّغة علم اللّغة يحضن المنهج العلمي وصولا إلى القوانين العامة التي تنتظم اللّغة وهو نفسه المنهج الذي يظهر من استعمال العرب لكلمة الخصائص أو سنن العرب أو سر العربية في مجاري العرب.

ومن هذه المقارنة هناك فرق كبير بين منهج العرب في دراسة لغتهم وبين منهج اللّغويين في علم اللّغة، وذلك بأنه بالرغم من أنّ علماء اللّغة يذهبون

إلى أنّ عملهم ليس مقصورا على لغة بذاتها وإنما هو ينطبق باعتبارها علما على كل اللّغات، فإننا نعتقد أنّ دراسة العربية تختلف عن دراسة اللّغات الأوروبية، ومن الخطأ إدراك عمل العرب القدماء في سلك تاريخ الدرس اللّغوي على ما يفصله الغربيون، ومن الغريب أنّ علماء الغرب يعترفون بأعمال اللّغوي الهندي باينني تحظى بالقبول حتى الآن في كثير ممّا وصل إليه من مقررات باعتبار أنّ عمله كان عملا وصفيا، وهذا العمل نفسه يلتقي مع عمل العرب في أنه كان متصلا بنص ديني ثم يتميز العرب – من بعد –بالتطور الواضح في منهج الدرس.

ومع ذلك فإننا نرى الدرس اللّغوي عند العرب القدماء مندرجا تحت " علم اللّغة " وليس تحت " فقه اللّغة " ومن الصالح أن يتفق على منهج واحد حتى يكون أكثر دلالة على الموضوع والمنهج ومن الواضح أن مصطلح فقه اللّغة لا يشير من قريب أو من بعيد إلى طريقة العرب القدماء فضلا عمّا يحيط به من غموض وما يعتروه من خلال. [32]

الفصل الثـــالث:

علـم اللّغة الاجتماعي:

لم تكن دراسة اللّغة وقفا على اللّغويين منذ القديم، ولم تزل الحال كذلك، وذلك أمر طبيعي، فاللّغة هي أهم ما يميز الإنسان، وهي أخطر نشاط إنساني، ولكن يدرك اللّغويين رغم مناداتهم بعلمية الدرس اللّغوي واستغلاله، أنّ دراستهم لا يمكن أن تعتمد على اللّغة وحدها، وإنما هم يستعينون بعلوم أخرى كالجغرافيا والإحصاء والفيزياء وعلم النفس والاجتماع

[32] ينظر: عبده الراجحي، فصول في علم اللّغة ، دار المصرية الجامعية د.ط 2016. ص 48.

والأنثروبولوجيا وغيرها، وقد اتصال علم اللّغة بهذه العلوم إلى نشأة علم أوسع انتشارا يعرف بعلم اللّغة الاجتماعي sociolinguistique .

والحق أنّ البحث اللّغوي بعلوم المجتمع يرجع إلى القرن التاسع عشر، وقد ظهرت عدّة مصطلحات تشير إلى تطور هذا الاتصال، وقد تفدينا في الكشف عن منهج علم اللّغة الاجتماعي في صورته الحالية.

1- منتصف القرن الماضي عرفت ثلاثة مصطلحات هي:

- الفيلولوجي الإنثوجرافية
- الانثولولوجية الفيلولوجية
- الانثروبولوجية اللّغوية

2- ثم ظهرت مصطلحات أخرى أوائل هذا القرن وحتى الحرب العالمية الثانية، وهي مصطلحات تلحظ فيها استخدام " العطف " أو " الإضافة " أو " الصفة " هي:

أ/ علم اللّغة والانثولوجيا

ب/ سيسيولوجية اللّغة

ج/ علم اللّغة السوسيولوجي

- وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت ثلاثة مصطلحات أخرى هي:
- علم اللّغة الانثولوجي
- علم اللّغة النفسي
- علم اللّغة الاجتماعي.
- والحق أنّ هذه الفروع الثلاثة من البحث ظهرت متدرجة بعد دعوة مالينوفيسكي سنة 1920 إلى ضرورة البحث عن نظرية تجمع اللّغة والانثوجرافيا فظهر أولا علم اللّغة

الانثولوجي أواخر الأربعينيات، ثم علم اللّغة النفسي أوائل الخمسينيات، ثم علم اللّغة الاجتماعي أوائل الستينيات.[33]

- وقد كان هذا وفق أسباب عملية أهمها:

- 1 المشكلات اللّغوية في البلاد النامية.

- 2 مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة.

على أنّ علم اللّغة الاجتماعي ليس قسيما لعلم اللّغة وعلم الاجتماع، وليس مزيجا منها وليس مخصصا في ذاته، وليس من التقاليد العلمية حتى الآن أنّ يوصف باحث ما بأنه علم اللّغة الاجتماعي، وهي التي تفصح عن العلاقات الشخصية والقيم الاجتماعية والثقافية، بل لعلها هي الوسيلة الوحيدة التي للإفصاح لاعن تلك القيم الاجتماعية وتلك العلاقات.

إنّ دراسة اللّهجات الاجتماعية مثلا: تقتضي فهم البناء الاجتماعي كما يعتمده علماء الاجتماع.

إنّ لغة الشخص تحددها عوامل كثيرة منها الموقف الاقتصادي والمستوى التعليمي، ومنها التقييم الذاتي، والرغبة الخاصة والحالة الصحية وغير ذلك، وكلها عوامل لا يصح إعقالها في البحث.

من المؤكد أنّ اللّغة السلوك الاجتماعي الكامل الآن، ولا مناص من فهم اللّغة من المجتمع، ومن فهم المجتمع من اللّغة.[34]

وهذه الأسس كافية في تحديد موضوع علم اللّغة الاجتماعي ومجالاته، والإقناع بعلوم المجتمع في مناهجه، أما موضوعه فهو دراسة الواقع اللّغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية، مألوفة وغير مألوفة، وذلك من خلال التبادل الاجتماعي اليومي

---

[33] Hymes dell: sociolinguistics and the ethnography of speaking pp 44

[34] Pride. J . b : sociolinguistics, pp 287 – 301 in : lyons jhon : new horisons in linguistics, penguin, books, 1970.

وعلم اللّغة الاجتماعي يطبق منهج علم اللّغة الوصفي، بالإضافة إلى منهج وصف الظواهر الاجتماعية، لكن هناك حدود واضحة من علم اللّغة وعلم اللّغة الاجتماعي فعلم اللّغة الاجتماعي لا يهتم بالكلمة كما عند دي سوسير، ولا بالجملة كما هو الأمر عند تشومسكي، وإنما بالحديث الكلامي

ودراسة الحدث الكلامي تغير مفهوم اللّغويين بأن وظيفة اللّغة هي الدلالة وتقتضي في علم اللّغة الاجتماعي إلى نظرية أخرى تقرر أنّ وظيفة اللّغة هي المخاطبة أو الاتصال ودراسة أنماط الخطاب تقتضي معرفة بالدلالة في العلاقات الاجتماعية، كما تقتضي معرفة بالدلالة في الأشكال القولية

فإنّ أهم ما يقصد إليه علم اللّغة الاجتماعي هو أن يصل إلى العوامل الاجتماعية الكلّية التي لها تأثير على اختيار الناس للّغة، ومن ثم يصل إلى تطوير نظرية تصلح لدراسة أنواع الأحداث الكلامية

الأنثروبولوجيون ودراسة اللّغة:

شهد القرن التاسع عشر تطورا كبيرا في الدرس اللّغوي حين توجه العلماء إلى بحث اللّغة على أساس المنهج التاريخي والمنهج المقارن بعد اكتشاف السنسكريتية فيما يعرف الآن في تاريخ الدرس اللّغوي بالفيلولوجيا والتي ترجمة بالعربية إلى فقه اللّغة.

ولقد وجد علماء الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر في منهج اللّغويين اقترابا كبيرا من منهجهم في الدرس، بل اختلط البحث الانثروبولوجي والبحث اللّغوي في الكثير من الأحيان واشتهر العلماء في الجمع بين العلمين، منهم " ماكس مولر " قدّم دراسات في اللّغة ودراسات في الانثروبولوجيا، وقد كان مكان الثقافة في العلمية أساس هذه الصفة، فالثقافة كانت غاية عند علماء اللّغة، وهي عند علماء الانثروبولوجيين الثقافيين حقيقة نهائية متميزة بذاتها، وليس المجتمع إلاّ وسيلة لوجودها واستمرارها. [35]

[35] ينظر: د. أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية للكتاب، 1975م.ص 178-246.

فاهتم الانثروبولوجيون باللّغة واتصلوا بمنهجها وساهموا في دراستها، وقد قدم الانثروبولوجيون للدّرس اللّغوي وذلك في مجالات محددة ندرجها على النحو التالي:

1- اللّغة والجنس.

2- اللّغات البدائية

3- أصل اللّغة

4- اللّغة والأسطورة

5- نظرية سياق الحال

1- اللّغة والجنس:

وقد كانت قضية اللّغة والحسن من القضايا التي شغلت اللّغويين الانثروبولوجيين في القرن الماضي، وكان اللّغويون يذهبون إلى معرفة المراحل التي تطورت فيها اللّغة تفسر لنا تاريخ الأزمنة القديمة، فقد ذهب جون كيندي في العديد من أبحاثه أنّ يبرهن على أنّ الهنود الأمريكيين قد هاجروا إلى أمريكا من قارات أخرى وذلك بمقارنة العديد من الظواهر اللّغوية عند بعض قبائلهم بلغات لا تزال موجودة في غرب إفريقيا.

وقدّم كارك خطوة أخرى حين صنّف اللّغات حسب خصائص معينة تصلها بالجنس. على أنّ هذا الاتجاه لم يجد قبولا لدى الكثير من الانثروبولوجيين،فعرضه كثير منهم، وقد أشار تايلر إلى أنّ وصل اللّغة والحسن إنما هو وصل زائف، ذلك أنّ هناك أجناس مختلفة تتحدث لغة واحدة وهناك أجناس تغير لغتها، وقال سايس syse " إنّ المجتمع هو الذي ينظم اللّغة وليس الجنس "

والحق أن وصل اللّغة بالجنس لم يكن يجدها ما يسنده من أدلة التاريخ ولا من أدلة البحث العقلي، لكن الانثروبولوجيين أقروا أنّ هناك صلة غير منكرة بين الخصائص المميزة للغة معينة، وعقلية الجنس الذي اصطنعها، وقد دافع الأستاذ جوستاف أوبرت

عن هذا الاتجاه بقوله: " إنّ اللّغة تحتفظ ببنيتها الخاصة " وهي إذ لم تتوافق دائما مع أمة خاصة فإنها تدل على الجنس الذي تحدث بها أولا.[36]

ومن الملاحظ أنه لا تزال هناك أفكار غامضة عن اللّغة مبنية في الأغلب على وجود خصائص تميز اللّغات وفقا للجنس، فنحن نقرأ حتى الآن عمن يقول أنّ الانجليزية هي لغة التجارة، والألمانية لغة الحرب، والفرنسية لغة الهناء والايطالية لغة الأصدقاء، والاسبانية لغة العبادة وغيرها ...

إنّ مناقشة الانثروبولوجيين في هذه العقيدة ساعد الدرس اللّغوي، ذلك أنّ رفض الصلة بين اللّغة والحسن ساعد على تغيير المنهج اللّغوي الذي كان سائدا في القرن الماضي، ومن ثم كان اتجاه علم اللّغة الحديث إلى البيئة وليس إلى الجنس، ونزال نتذكر الأبحاث العقلية الانثروبولوجية على علم اللّغة في أمريكا على وجه الخصوص.

2- اللّغات البدائية:

كان الانثروبولوجيين الأوائل يعتقدون أن هناك لغات بدائية، لأن اللّغة عندهم ترتبط بالقدرة العقلية للحسن، ومادام هناك بدائيون فلابد أن تكون لغتهم بدائية وغير متطوّرة، وكانوا يحتكمون إلى مقياس اللّغات الأوربية، ومن أهم خصائص اللّغات البدائية ما يلي:

1- أنّ اللّغات البدائية غير قائمة على التعميم والتجريد

2- أنّ اللّغات البدائية عاجزة عن التعبير تعبيرا دقيقا مجددا، وذلك أنّ مفرداتها محدودة جدا

3- إنّ اللّغات البدائية معرضة دائما للتغيير السريع. [37]

---

[36] Henson Hilary: early britich anthropologists, and languages. Pp 3 – 32 in: ardener, social anthropology and languages.

[37] Wardhaugh Ronald, introduction to linguistics, mc graw-hill, inc, new York, 1972, 2

3- اللّغات البدائية واصل اللّغة:

وفكرة اللّغات الأجنبية دفعة الانثروبولوجيين إلى دراستها باعتبارها دليلا على ما حدث من تطور في اللّغة الإنسانية، وقد اتفق على أصل اللّغة.

والبحث في أصل اللّغة كان بحثا قديما، وإن كان علم اللّغة الحديث قد توقف عنه لأسباب علمية معروفة، لكن الاحتكام إلى اللّغات البدائية أفاد في تأكيد عدد القضايا اللّغوية الهامة.

وقد أعجب الانثروبولوجيون ما قدمه لغويو القرن التاسع عشر من مقارنات في اللّغات الهندية الأوربية في محاولة لإعادة صياغة اللّغة الأم، وقد جعلت الانثروبولوجيين يتمّسكون بأنّ اللّغة نشأت في تقليد أصوات الحيوانات غير المتمايزة، وقد ذكر باينني أنّ الشكل اللّغوي للغات البدائية يتميز بشكل آخر، وهو ما يعرف بالعبارة الكلية أو الكلمة الشاملة، وهي نطوق لا يمكن تحليلها، وهي لاشك أكثر تحديدا من الصيحة الحيوانية، وهذا الشكل من اللّغة له نظمه الخاص، ولكنه ليس نظما من كلمات وأدوات، وإنما هو مكّون من تصورات.

وفكرة العبارة الكلية أدت إلى الاهتمام بظاهرة أخرى عند البدائيين، وهي ظاهرة استخدام الإشارة في التعبير اللّغوي، وقد شغل تايلر نفسه بهذا الموضوع في محاولة بحث أصل اللّغة، واكتشف ما ذهب إليه دي سوسير بعد ذلك من أنّ اللّغة نظام من العلامات أنما ينبغي أن تدرس في إطار السيميولوجيا.

وهذه الأبحاث جعلت تايلر يظن أنه على وشك اكتشاف الأصل إليه هو إدراكه أنّ الإشارة واللّغة تعتمد على قدرة الإنسان على الرمز والتجريد، وهذه كلها أدت إلى أفاق فالدرس اللّغوي.[38]

4- اللّغة والأسطورة:

والبحث في أصل اللّغة أدى إلى قضية أخرى، وهي صلة اللّغة بالأسطورة، وذلك أنّ اللّغة ليست إلا صورة خارجية للفكر.

ويرى مولر لا يمكن أن يوجد فكر بدون لغة، وهو ما يسمى بالمراحل المبكرة من الكلام الإنساني بأنها المرحلة الأسطورية حين كانت الأشياء تسمى بمعناها.[39]

وعلاقة اللّغة بالأسطورة جعلته يؤكد أنّ اللّغة لا يمكن أن تكون وسيلة كاملة لنشر الفكر، لأنها لا تستطيع أن تتخلص خصوصيتها الشعرية، ومن طبيعتها في خلق الأسطورة ويقول: " إنّ الأسطورة لن تختفي إلاّ إذا تطابقت اللّغة مع الفكر، وذلك ما لن يحدث أبدا.

والمهم في ذلك أنّ مولر يرى أن، تغيير الأساطير يجب أن يعمده على دراسة اللّغة.

3 – نظرية سياق الحال:

تمثل ركنا من أركان الدرس اللّغوي، والمعروف أنّ هذه النظرية تنسب إلى مدرسة لندن اللّغوية وبخاصة إلى " الأستاذ فيرث "، وهي تمثل أساس نظرية في المعنى، وجزءا مهما في النظرية اللّغوية في ولئن كانت قد فقدت بعض أهميتها بعد وفاته 1960

[38] ينظر عبده الراجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص 9-29.
[39] Firth, j . r , selected papers, edited by palmer, Longmans, 1968 p.139

حين طغى التعليل الفزيولوجي والنحوي مركزا على الجوانب الشكلية في اللّغة، فإن دراسة المعنى عادت إلى صلب البحث اللّغوي عند " تشومسكي " وأصحابه.

بريطانيا.

وسياق الحال ليس من ابتكار " الأستاذ فيرث"، وإنما ترجع ملامحها إلى لغوي القرن التاسع عشر، وقد عرض فينجر 1885 لما أسماه نظرية الموقف، لكن معالمها الرئيسية ترجع العالم الانثروبولوجي " برونسلا " و "مالينوفسكي".

وقد توصل إلى فكرة سياق الحال من خلال أبحاثه العقلية هذه، ثم قدم بحثا شاملا لها فيبحثه عن مشكلة المعنى في اللّغات البدائية الذي ألحقه بكتاب " أوجدن ريتشارد" " معنى المعنى " حين كان يجري أبحاثه بين بعض القبائل الميلانيزية جمع عدد أكبر من الأبحاث تشمل صيغا سحرية وفنونا شعبية، وأقاصيها وغير ذلك من ألوان الكلام.[40]

وهذه الأمثلة التي قدمها تثبت أنّ اللّغة " تمتد بجذورها إلى حقيقة الثقافة، وإلى الحياة القبلية، وعادات الناس، وأنها لا يمكن أن تشرح دون إشارة مسمرة إلى هذه السياقات الواسعة للنطوق الكلامية.

ويقارن " ملينو فسكي " – في وقته – بين دراسة " اللّغة المتقدمة " و " اللّغات البدائية " فيبين أنّ دراستها تتم من خلال النصوص المكتوبة، على حين يستحيل ذلك في اللّغات البدائية، ومن ثم اختلف عمل عالم الفزيولوجيا عن عالم الإنثوغرافيا؛ لأنّ الأول يدرس اللّغة في صورتها المكتوبة، ويدرسها الثاني في صورتها المنطوقة، وعلى حالتها من التدفق ويهتم الفيلوليجي بإعادة صياغة الموقف العام، أما الإنثوغرافي

[40] Firth, papers in linguistics, oxford university press, London, 1957 p.225.

فيدرس دروس الثقافة درسا مباشرا ويفسر الأشياء على ضوئها، ويؤكد أنّ هذا المنهج هو أصح سبيل إلى الدرس اللّغوي وإلى البحث في حياة اللّغات.

وقد انتهى " مالينو فسكي " من عرضه إلى النتائج التالية:

1- إن التعريف الذي كان سائدا للغة على أنها التوصيل الصوتي للأفكار لم يعد تعريفا ذا قيمة لأنه لا يصلح إلا لجانب معين من اللّغة، وهي اللّغة المستعملة في قاعات الدرس أو في مناظرات المثقفين.

2- إنّ اللّغة ليست علاقة مقابلة للفكر، إنما هي نماط من النشاط، يتميز بما يتميز به أيّ نشاط اجتماعي تعاوني آخر.

3- إنّ النطوق اللّغوية لا تنطق ولا تفهم في حد ذاتها، ولكنها تفهم في سياق الحال الذي تم فيه الكلام بين متكلمين وسامعين.

4- إنّ استعمال الأشكال اللّغوية والكلمات والجمل تفهم من السياق.

5- اللّفظة تعتمد على ثقافة المجتمع، والترجمة مكنة عند فهم السياق الثقافي.

6- إنّ اللّفظة ليست هي الوحدة الأولى للمعنى، وإنما الجملة لأنها هي التي تنطق وتفهم، والألفاظ ليست إلا مستخرجات من المعاني.

هذه هي الخطوط العامة لفكرة سياق الحال كما عرفها " مالي نوفيسكي "، كما لاقت إعجاب الأستاذ فيرث وكتب بحثا في هذا الشأن.

وقد أشار إلى أنّ أهم إضافة قدمها ليونفسكي نذكر ما يلي:

1- تقديمه نظرية عامّة وبخاصة استعماله تطوّرات "سياق الحال" وأنماط الوظائف الكلامية.

2- تقريره أنّ معنى اللّفظة يتحدّد بالإشارة إلى السّياق الثقافي.

3- بحثه قضية المعنى والترجمة [41]

أ/ بحثه صلة اللّغة بالثقافة، وصلة علم اللّغة بالأنثروبولوجيا.

لقد كان " فيرث " يلح دائما على أنّ " السلوك اللغوي العادي " إنّما هو جهد ذو معنى ،وهو يوجّه إلى الاحتفاظ بالأنماط الصّحيحة من الحياة.

والتأكيد عن قضية المعنى عنده أفضي به إلى الإفادة من أفكار " مالينو فيسكي " ، وعلى أساسها أقام نظريته على سياق الحال، وجعلها التصور الأساسي في علم الدلالة؛ بل جعل مصطلح الدلالة يعنى الدراسة السياقية وفي تقديمه لعلم الدلالة كما يراه عرض لبعض المبادئ التي يقوم عليها البحث اللّغوي، وفحصها في تخطيط عام على النحو التالي:

1- إنّ اللّغة ميل طبيعي إلى استخدام قدراتنا الفيزيقية في صنع أصوات وإشارات وعلامات ورموز ذات معنى.

2- وهذا الميل يحتفظ بنشاط منظم. وهو ما نسقه في أعمال النحو والمعاجم وعلم اللّغة، والدراسة العامة للّغة.

3- حين ندرس لغة معينة فإننا نقصد أنّ نشير إلى نظام لغوي معين. بأداء الأشخاص له.

[41] Firth, the semantics of linguistics, in papers, p 114.

4- إنّ الدراسة المقارنة للأنظمة اللّغوية ميدان واسع، وقد تطور تاريخيا في اللّغات الهندية الأوربية.

5- إنّ الكلام قد يكون شفويا وقد يكون منطوقا، يحدث في سياق الحال، والحدث الكلامي في سياق الحال.

6- وهذه الأحداث الكلامية تعبيرات من نظام اللّغة.

7- الكلام يتكون من أحداث كلامية تقع في سياقاتها وتتبع من عالم من الأصوات البشرية ومن الأوراق المكتوبة.

يحدد " فيرث " العناصر التي ينبغي أنّ يعتمد عليها اللّغوي في دراسة اللّغة، على أساس " سياق الحال ". ويرى أنّ هناك ثلاث علاقات داخلية تشمل أساس البحث.

1- العلاقات الداخلية لعناصر التركيب والكلمات وأجزاء النص الأخرى.

2- العلاقات الداخلية للأنظمة التي تجعل لهذه العناصر قيما معيّنة.

3- العلاقات الداخلية لسياق الحال.

وهذه العلاقات الأخيرة هي التي ركّز عليها في غير موضع من أبحاثه وهي:

1- الملامح الخاصة بالمشاركين، أشخاص أو شخصيات.

(أ) الحدث القولي للمشاركين.

(ب) الحدث الغير القولي لهم.

2- الأشياء ذات العلاقة بالموقف.

3- تأثير الحدث القولي.

وقد كان " فيرث " يهدف في نظريته إلى ثلاثة أغراض:

1- معرفة الأساليب المختلفة للنطق، وهي الأشكال النمطية والأدبية والعامية وغيرها.

2- وصف الاستعمال الفعلي لنطق معيّن في موقفه الخاص باعتباره شيئا فريدا.

3- معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التّركيبات النّحوية وأنواع التنغيم، ثم معرفة معاني الألفاظ المفردة باعتبارها أجزاء من الكلام.

لقد ظلّ " فيرث " يركّز على نظريته في علم الدلالة على أساس سياق الحال.

لكنّه لم يطبّق هذه النظرية تطبيقا كاملا بحيث يصبح منهجا محررا لمعلم معروف الخطوات.[42]

وقد لا يكون بعيدا عمّا نحن فيه أن نشير إلى أنّ العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى الموقف أو المقام أو غير ذلك ممّا يشبه فكرة " سياق الحال ". من هذه الإشارات ما أفرده المفسرون لمعرفة أسباب النزول أمثال" الواحدي " و" السيوطي "" ابن دقيق العيد "ويقول : " بيان سبب النّزول طريق قوي في فهم معاني القران ". وقال ابن تيمية " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية" ، فإن العلم في سبب يورث العلم بالمسبّب .

ومن إشارات اللغويين العرب إلى مثل هذه الفكرة ما عرض له ابن جني في غير موضع من كتبه، كتقريره إن اللغوي لا ينبغي أن يكتفي بالسماع بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة أي عليه أن يحيط بظروف الكلام .[43]

[42] Firth, personality and language in society, in papers", p, 182.

[43] ينظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، القاهرة 1969م، ص 4.

اللّغة والاتصال:

أصبحت دراسة الاتصال تمثل عنصرا أساسيا من عناصر البحث في العلوم الاجتماعية، ذلك أن الإنسان لا يفهم

إلا من خلال طرق الاتصال لديه، وهي طرق تختلف باختلاف النشاط وباختلاف البيئات والمجتمعات ولما كانت العلوم الاجتماعية تتناول الاتصال من زوايا مختلفة، فهناك من يتناول مصطلح الاتصال من حيث هو ثقافة، وهناك من يتناوله من حيث لغة، وأخر يدرس من حديث التأثير الشخصي. وآخر يعتبره أساس العلاقات الإنسانية.

والذي يهمنا هو الاتصال من جانبه الثقافي ومن جانبه اللّغوي، والاتصال هو الوسيلة الأولى التي تنتقل بها الثقافة من جيل إلى جيل، وأنّ أي ثقافة لا يفصح عنها إلا بطريق الاتصال، ومن ثم فغنّ دراسة الاتصال في المجتمع هي التي تقضي على ثقافته، واللّغة هي أهم وسائل الاتصال عند الإنسان ويؤكد بعض الانثروبولوجيين إنّ اللّغة هي الثقافة والثقافة هي اللّغة، والاتصال والثقافة مترادفين أي أنّ الصلة بينهما عضوية، والذي يميزها أنّ الثقافة بنية، وأنّ الاتصال هو العمليات التي تعيش بها هذه البنية.

واللّغة تكشف قيم الحضارة وتدل على أنماط العلاقة بين الناس، ومن المؤكد أنّ اللّغة تحمل طابع الحياة التي يحيها المتكلمون، بها يظهر ذلك في اختلاف المفردات بين لغة وأخرى، وكل لغة تحتوي في الأغلب على كلمات معينة يجب أصحابها أن يتحدثوا بها أو تشغل عندهم اهتماما خاصا.والاتصال ليس وظيفة بيولوجية يؤديها الإنسان كما يؤدي وظائفه الحيوية الأخرى، ولكنه يكسب في المجتمع، ويتعلم طرائق الاتصال بالآخرين سواء بالوسائل اللّغوية أو بغيرها.

ومن الظواهر الواضحة في المجتمعات أنّ طرائق الاتصال تختلف بين الرجل والمرأة، فلا حرج مثل على المرأة أن تبكي أمام الناس، ولكن الرجل في الأغلب لا يستطيع والمرأة لا تستطيع أن تقهقه في المكتب أو في الشارع والقهقهة في الأغلب مقصورة على الرجال، وقد تكون ممنوعة في بعض الأحيان، وفي بعض المجتمعات تمشي المرأة خلف الرجل، وفي بعضها الآخر تتقدمه أو تسيير بجانبه

إنّ كلّ أولئك أنواع من السلوك الاتصالي بين الناس، وسوف نعرض هنا ثلاثة جوانب من الاتصال:

ا/ اللّغة الجانبية

ب/ اللّغة والحركة الجسمية

ج/ الاتصال الحيواني واللّغة [44]

1- ***اللّغة الجانبية paralangage***

وهي أقرب وسائل الاتصال إلى اللّغة، لأنها أيضا تصل بحالة الصوت الإنساني عند نطق لغوي معين.

وقد رصد اللّغويين موازيين معينة للغة الجانبية رأوها تأثر تأثيرا مباشرا على الاتصال اللّغوي، وأهم ما رصده اللّغويين من هذه الموازيين ما يلي:

1- ميزان جهارة الصوت volume xalae

[44] Clevenger, thodre and Mathews, jack: the speech communication scoot, foresmen and company, Glenview, illines 1971, pp.1- 17.

ونعني به الميزان الذي يحدد به درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه عند نطق معين، حسب الموقف الكلامي والناس يلتزمون درجة معينة.

ويعرف بعض الناس بارتفاع أصواتهم، وبعضهم يعرف بانخفاضها حسب البيئة، وارتفاع الصوت ضروري في بعض المواقف، فالصوت المنخفض أحيانا يدل على الشك أو كتمان الحديث، أو غير ذلك مما يضيفه الصوت المنخفض إلى الكلام، والارتفاع الكبير في الصوت ضروري لمقدم الألعاب في السيرك مثلا كما هو ضروري في مواقف أخرى كثيرة.

والإنسان يتعلم هذا الميزان في المجتمع، فرجل السياسة مثلا لا يهمس في كلامه وهو يخطب في حديث من أتباعه وميزان ارتفاع الصوت وانخفاضه دليل من أدلة البحث في بنية المجتمع، فدرجة الصوت مرتفعة عادة بين أهل الريف، وهي تختلف بينهم أيضا حسب المنزلة الاجتماعية، ولا يستطيع أحد أن يتحدث بصوت مرتفع أمام كبير العائلة، وفي المدينة تتحدد درجة الصوت فرقا لمواقف اجتماعية كثيرة

2- ميزان طبقة الصوت:

وهو ميزان آخر غير ميزان الارتفاع والانخفاض، إنه الطبقة الصوتية التي ينطق بها كلام معين، فالفرح والبهجة والحزن والضيق وخيبة الرجاء كل أولئك يعبر عنها الناس بطبقات صوتية مختلفة.

3- ميزان الصوت المنفتح:

وان تجد هذا الكلام في ألوان معينة من الكلام، كتلك التي يقدمها الدعاة الدينيون أو رجال السياسة حين يخطبون فالجماهير وبخاصة في الأماكن المفتوحة أو الساحات العامة.

4- ميزان البطء والسرعة:

لكل عالم درجة معينة من السرعة، وبعض الناس يعرفون بأن نطقهم بطيء أو سريع بحيث يختلف عما هو مألوف في المجتمع، فالسرعة الزائدة تدل في الأغلب على الحدة والغضب أو الرأي القاطع، أما النطق البطيء المقطع فالأغلب أنه يشير إلى السخرية أو عدم الرضا أو عدم التصديق.

وهذه الموازين التي ذكرناها ليست إلا أمثلة قليلة مما يرصده اللّغويون في أبحاثهم عن اللّغة الجانبية في الدرس اللّغوي بعامة، وعند بحث اللّغة ووظيفتها التوصيلية في المجتمع على وجه الخصوص.[45]

اللّغة والاتصال:

اللّغة والحركة الجسمية:

وهذا ميدان جديد من ميادين الدرس، أخذ تسلك طريقة إلى البحث العلمي في السنوات الأخيرة، وأصلا يدرس اللّغة بدراسة المجتمع والإنسان، وهو ثمرة من ثمرات اتساع علوم الاتصال ويمثل الآن جانبا مهما من جوانبه.

وصاحب هذا العلم هو الانثروبولوجي " راي بيردوسل " وقد أطلق عليه مصطلح " kinésies "، وقصد به أن يدرس الإنسان حركات جسمه في عملية التوصيل بما يفيد فهم العملية اللّغوية، وبما يفيد فهم ظواهر البناء الاجتماعي، وقد كتب عددا من الأبحاث في دراسة الحركة الجسمية في الاتصال عموما وفي دراسة اللّغة على وجه الخصوص.

أشرنا في عرضنا " اللّغة الجانبية " أنّ المعاني التي ينقلها الإنسان لا تجملها الألفاظ المنطوقة وحدها، بل تسهم فيها عوامل كثيرة، وأحيانا تكون المعاني مناقضة للألفاظ نفسها، ومن هذه العوامل استخدام الحركة الجسمية.

[45] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1948: 1/ 116.

والحق أنّ حركة الجسم ليست مسألة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما اتفق، وإنما هي نظام يتعلمها الإنسان داخل المجتمع، ولها أنماطها الخاصة بالثقافة.

ويقول علماء الفزيولوجيا إن عضلات الوجه مثلا يمكنها أن تقدم للإنسان عشرين ألف تعبير وجهي، كل منها مختلف عن الآخر.

وهناك اختلافات كثيرة بين المجتمعات في استخدام الحركة الجسمية واللبنانيون والسوريون مثلا والفلسطينيون يحركون رؤوسهم إلى أعلى دلالة على الرفض، ويحركون حواجبهم إلى على دلالة على الرفض، على حين يفيد تحريك الحواجب عند المصريين دلالة أخرى، ولتأكيد فكرة النظام في استخدام الحركة الجسمية، فضرب اللّغويون مثلا عن الابتسام.

فما هو الابتسام ؟

والابتسام ليس حركة بيولوجية تؤديها الشفتان،ولكنه عملية كاملة تقتضي معرفة الصلة بين الشفتين والخدود والجفون والرموش والحواجب والجبهة، فهو جزء من نظام لا يمكن درسه إلا في إطاره الاجتماعي.

ومن الأبحاث الطريفة بحث جرى على استخدام الحركة الجسمية بين المسرح الأمريكي والمسرح الفرنسي، ومن المواقف العائلية اليومية اجتماع الأسرة إلى مائدة الطعام، ففي الأسرة الانجليزية تجد الأب وحده عند الإفطار بينما الأم تجعل الأولاد هادئين يسمعون حديث الأب، أما الأسرة الأمريكية فإنّ الأب هو الذي ينصت عند الإفطار وتقوم الأم بإدارة المائدة وتنظم طريقة الأولاد فالتعبير عن أنفسهم

وفي بعض البلاد العربية يجلس الناس إلى موائد الطعام جلسة خاصة ذات التقاليد البدوية يتناولون الطعام باليد اليمنى ويضعون اليد اليسرى وراء ظهورهم، وفي الريف المصري لا يسمح بالكلام عند الطعام إلا للكبار أما الضحك والابتسام فهو ممنوع البتة.

ولقد كان للحديث عند تقديم الطعام للضيف منزلة خاصة عند العرب القدماء يقول الجاحظ: " وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أوّل وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة.

" وقال شاعرهم حاتم الطائي: " سال الجائع الغرثان يا أم منذر....إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل أبسط وجهي؟إنه أول القرى....وأبذل معروفي له دون منكري

وهكذا تستطيع أن تجد مئات الأمثلة التي تستحق الدرس لفهم طرائق الاتصال داخل المجتمع من خلال الحركة الجسمية وارتباطها بالنظام اللّغوي.[46]

والذي يهمنا أنّ نوضحه هنا أنّ دراسة الحركة الجسمية – باعتبارها مظهرا من مظاهر الاتصال الإنساني وباعتبارها ضرورية لفهم النظام اللّغوي اتجهت مباشرة إلى تطبيق مناهج اللّغويين في البحث، ويبدوا تطبيق هذا المنهج فيما يلي:

1. إنّ الحركة الجسمية ليست حركات فسيولوجية، ولكنها نظام اجتماعي شأنه شأن اللّغة، تؤخذ بالاكتساب وتدرس في إطار المجتمع.
2. إن الحركة الجسمية كاللّغة من حيث طبيعتها الجوهرية التي يفهمها " تشومسكي "، والإنسان كل يوم ينطق مئات الجمل التي لم ينطقها من قبل، وتلك خاصية من خصائص الاتصال الإنساني، وعليه فإن نظام الحركة الجسمية لا يقف عند الظواهر السطحية، وإنما يسعى إلى فهم طبيعة الإنسان عن طريق " تفسير القوانين " العميقة للحركة الجسمية وتحولها بعد ذلك إلى أداء ظاهري.

[46] ينظر: الجاحظ: المصدر السابق: 1/ 22-25.

3. يستخدم علماء الحركة الجسمية مصطلحات اللّغويين في التحليل اللّغوي، وقد قدم " بيردوسل " دراسة عن الوحدة الحركية الأساسية (الكينمات) في استخدام الأمريكيين للوجه والرأس نذكر منها ما يلي:[47]

ثلاثة حركات خاصة بإماء الرأس.

إيماء واحدة– إيماء ثان– ثلاثة إيماءات.

اثنتان خاصتان بتحريك الرأس جانبيا

حركة واحدة– حركتان.

أربع درجات للعين.

الفتحة الجاحظة– إغلاقها مستطيلة ضيقة– إغلاقها إغلاقا ضيقا

أربع درجات للأنف:

تجيعين العين، ضغط المنخارين ضغطا مسطحا، اتساع المنخارين معا، اتساع منخار واحد.

ست حركات للفم:

الشفاه المضغوطة، الشفاه البارزة، الشفاه المضغوطة والمنكمشة، والشفاه المسحوبة إلى الأعلى.

الفم المنبسط – الفم الفاغر

حركات الذقن:

رفع الذقن أماما – دفعها جانبا – دفعها إلى الأسفل

حركات الخدود:

الخدود المنتفخة – الخدود الممتصة.

[47] ينظر: عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية، 1977 ص 111 وما بعدها.

وهكذا قدّم هذه الحركات باعتبارها الوحدات الأساسية في استخدام الأمريكيين لبعض أجزاء الرأس والوجه، ومن الواضح أنها وحدات تتفرع إلى تنوعات على ما بينها

4-إنّ دراسة الحركية الجسمية لا تتم بعزل عناصرها وتحليلها فحسب، وإنما تقتضي وصفها في سياق حدوثها، وهو تطبيق نظرية سياق الحال في الدرس اللّغوي.

يستخدم علماء الحركة الجسمية مصطلحات التحويليين وبخاصة فيما يطلقون عليه عنصر العلامة marker وقد أفرد " بيردوسل " دراسة خاصة من خصائص العلامات في الاستخدام الأمريكي نذكر منها ما يلي:

أ/ العلامات الخاصة بالضمائر ورمزها kp

ب/ علامات الجمع ورمزها kpp

/ج علامات فعلية ورمزها kv

د / علامات المكان ورمزها ka

هـ / علامات الطريقة ورمزها km[48]

6 – ولما كانت الحركة الجسمية نظاما اتصاليا ينشأ في المجتمع، له ما للغة من خصائص، فإنه يخضع أيضا للدراسات اللّهجية ومن توجد أبحاث خاصة بلهجات الحركة الجسمية وتوجد دراسة للحركة الفردية.

7- يعتمد اللّغويون على المصدر البشري في جمع مادتهم اللّغوية، أما الباحثين في الحركة الجسمية يعتمدون في جمع مادتهم – في الأغلب – على الملاحظ الذاتية وعلى الصور المتحركة.

[48] Birdwhistell: kinesics and context, pp. 99- 101.

أ/ الحركة الجسمية تدرس باعتبارها مظهرا من مظاهر الاتصال، شأنها شأن اللّغة الجانبية والحركة الجسمية الجانبية.

ومما هو وثيق الصلة بالحركة الجسمية فرع آخر من فروع البحث في ظواهر الاتصال

وهو استخدام المسافة بين الناس، ويطلق العلماء على هذه الدراسة مصطلح proscemics

فهناك درجات متفاوتة بين المسافات التي يستخدمها الناس في المجتمعات، فهناك مسافة يتخذها الأصدقاء ومسافة يستخدمها الغرباء، وهي غيرها بين الكبار والصغار، وهناك أجهزة خاصة تراعي استخدام المسافة، كإعداد قاعات المؤتمرات والحفلات والموائد الرسمية.

على أنه من الملاحظ أنّك تستطيع أنّ تضيف إلى المعنى اللّغوي وأن تغيره عن طريق المسافة التي نتخذها عند الكلام، فاختلاف المسافة عندما نتحدث حديث التودّد أو التوعد أو الاستنكار أو الاشمئزاز أو غير ذلك،وكل ذلك ليس شيئا فيريقا، وإنما هو نظام كنظام الحركة الجسمية ونظام اللّغة سواء بسواء، وهذا كله في فهم طبيعة الاتصال الإنساني، وفي الفهم اللّغوي على وجه الخصوص.

والأدب العربي حافل بشواهد كثيرة على استخدام أعضاء الجسم في الدلالة ونحو ما قدمه الثعالبي عن " كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله ".[49]

ومن قبل عرض الجاحظ لتأثير حركة الجسم أو الإشارة عموما على الدلالة فقال:

[49] : د فاطمة محجوب، "القرآن والحركة الجسمية" في كتابها : دراسات في علم اللّغة، ص 187-205.ينظر

{ قد قلنا فالدلالة باللّفظ، فأما بالإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف، وقد يتهدد دوافع الصوت والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا. }

والإشارة واللّفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ وما تغني عن الحظ

قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أشارت بطرف العين خفية أهلها....إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا....وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال آخر:

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره....وتعرف بالنحوي الحديث المغسما.

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت، وهو آلة اللّفظ، وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف، ولا تكون حركة اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت.[50]

اللّغة والاتصال:

اللّغة عند الحيوان:

في القرآن الكريم ***{ وورث سليمان داوود وقال يا أيها النّاس علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين }*** [51]

ويتحدث نحاة العربية القدماء عن ظاهرة أطلقوا عليها " أسماء الأصوات" ويعنون بها الألفاظ التي يوجهها الإنسان إلى الحيوان لدفعه في أداء أمر معين، من ذلك ما نقلوه عن

[50] الجاحظ: المصدر السابق: 1/ 79-80.
[51] سورة النمل 16 – 17.

العرب من زجرهم الإبل بقولهم: " هيد * عاه " والغنم بقولهم: " هس – أس – هج " والبغل : " عدس " إلخ ...

ولقد عرض الجاحظ لشيء من لغة الحيوان كما يفهمها عنه الإنسان وينقل ابن عبد ربه { أنّ النحل أطرب الحيوان كله إلى الغناء }

قال الراجز:

والطير قد يسوقه للموت....إصغاؤه إلى حنين الصوت

هذا الشيء من تصور العرب للغة الحيوان، لكن الذي بصدده شيء آخر.

إنه شيء يراه المحدثون ضروريا لفهم الاتصال الإنسان، من معرفة أنظمة الاتصال، وهم يرون دراسة " الاتصال عند الحيوان ضرورية لفهم الخصائص المميزة للغة الإنسانية.

وثمة أسئلة تشغل بال المهتمين بهذا اللّون من الدراسة:

- أي الحيوانات يمتلك أنظمة متطورة للاتصال؟
- ما هي خصائص هذه الأنظمة ؟ وكيف تختلف عن خصائص اللّغة الإنسانية ؟
- هل تستطيع الحيوانات أن تكتسب اللّغة عن طريق التعليم ؟
- أيختلف الاتصال الحيواني عن اللّغة الإنسانية اختلافا كميا، بمعنى أنّ لديه نفس القدرة ولكن على حجم أقل ؟
- أم تختلف اختلافا كيفيا، أي أنه اتصال من نوع آخر ؟
- ومن أهم الدراسات التي تمت في هذا المجال ما قدمه " لورنس " عن نظام الاتصال لدى الغربان، أنهت أنّ لديها نداءات خاصة، يستخدمها الذكور في مغازلة الإناث، ولديها صوتا خاصا لطيران من أعشاشها، وصوتا مختلفا للعودة، وصوتا عند الإحساس بالخطر.
- ومن ذلك ما قدمه " فون فرش " عن نظام الاتصال لدى النحل وقد وجّه اهتمامه إلى رقص النحل، وبخاصة رقص النحلة الجوالة التي تبحث عن الرحيق، وقد لاحظ أنّ هذه

النحلة تستخدم نظاما يشمل سرعة معينة من الرقص باتجاه الشمس، وهذه الرقصة وحدها كفيلة بإيصال الرسالة إلى بقية النحل.

- وتخلص هذه الدراسة إلى أنّ هذه الدراسة إلى أنّ هذه الأنظمة من الاتصال كلية أيضا عند طوائف النحل لأن الاختلافات التي رصدها كانت قليلة جدا لا تمس جوهر الاتصال نفسه.
- وهناك أبحاث أخرى عن أنظمة النداء عند أنواع من القرود لتوصيل أخبار عن الطعام أو خطر أو غير ذلك
- ومن اللافت أن الحيوانات الأليفة مختلفة جدا في كلّ طرائق الاتصال بين أفرادها من ناحية وبينها وبين الإنسان من ناحية أخرى.[52]
- وهذه الدراسات عن نظم الاتصال عند الحيوان أفضت إلى تأكيد الخصائص المميزة للغة الإنسانية ويوجزها في ما يلي:

1- ***الثنائية:***

وهي أهم خصائص اللّغة الإنسانية، لأنها تحتوي على نظامين فرعيين واحد للأصوات وأخرى للمعاني.

وهذان النظامان يقدمان اقتصادا أساسيا في عملية التوصيل لدى الإنسان، وهذه الثنائية غير موجودة في الاتصال الحيواني.

2- ***الخلق والإنتاجية:***

ذلك أنّ اللّغة تمكن الإنسان من أن ينقل كل لحظة رسائل ومعاني لم يسبق له أدائها، وقدرة اللّغة الإنسانية على " الخلق " وعلى " الإنتاج " لا توجد في الاتصال الحيواني.

3- ***التحكمية:***

إنّ الحقيقة التي يؤمن بها أهل اللّغة أنه ليست هناك صلة طبيعية للرمز بالشيء، فعلاقة الكلمة بالمعنى أو اللّفظ بالشيء، علاقة تحكمية اعتباطية عرفية، تولد داخل المجتمع وتتغير بتغير الزمان والمكان، أما في الاتصال الحيواني، فإن صلة الرمز بالشيء الذي يدل عليه تكاد تكون صلة أيقونية

[52] ينظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصفى البابي الحلبي: 1/ 32.

iconique، أي تتبع مثلا خاصا لا يتغير؛ فرقصة النحل تدل على مكان الرحيق ليس غير، وهي تدل عليه في كل بيئات النحل دون تغيير.

4- ***التبادل الداخلي:***

إن اللّغة تكمن الإنسان من أن يكون مرسلا ومستقبلا في الوقت نفسه، فهي التي تنتج التبادل الاجتماعي، وقد تجد شيء من ذلك عند بعض الحيوان كالقرود.

5- ***الشمول:***

إننا نستخدم اللّغة لدلالة على أشياء حقيقية ومتخيلة ومادية، وعلى أمور معنوية ونستخدمها للإشارة على أشياء في الماضي، وفي الحاضر وفي المستقبل.

6- التخصص:

إنّ الإنسان يتحدث وهو يأكل ويتحدث وهو يلعب ويتحدث وهو يعمل، أي أنه يستطيع أن يتحدّث وهو يؤدي شيئا لا صلة له بموضوع الحديث، أما الحيوان فلا يستطيع؛ فالنحلة التي ترقص إنما تنهمك " فيزيقيا " في عملية التوصيل لا غير.

7- النقل الثقافي:

إنّ نداء الحيوان يتوارث، أما اللّغة الإنسانية فلا تؤخذ إلا بالاكتساب،فهي لا تعيش ولا تنقل إلا من خلال " ثقافة المجتمع "

وهذا الإيجاز الشديد لخصائص اللّغة الإنسانية – بعد دراسة الاتصال الحيواني – يجعل حقيقة اللّغة ومكانها من الطبيعة البشرية، ويجعل دراستها في ضوء علوم الاتصال أمرا ضروريا إذا كان لنا أنّ نفيد من دراستها في فهم هذه الطبيعة، وهو هدف سوف يظل من الأهداف الكبيرة لدى الإنسان. [53]

اللّهجات الإقليمية:

الحديث عن اللّهجات حديث طويل، وفيها أبحاث غير قليلة، والبحث في اللّهجات بحث علمي " وهو بحث لغوي "، بل هو أقرب الأبحاث إلى طبيعة اللّغة، ثم إن

[53] Wardhagh : introduction to linguistics pp. 27.

الذي يعيننا هنا أنّ البحث في اللّهجات يدخل في اهتمام اللّغويين وعلماء المجتمع على سواء.

والذي لاشك فيه أنّ اللّغة واحدة تتنوع حسب الأفراد وحسب ظواهر الاجتماع وحسب اختلاف المكان بل إنّ الفرد الواحد لا ينطق كلمة واحدة أو جملة واحدة بطريقة واحدة، بل تتغير الكلمة حسب عوامل كثيرة.

ونحن نعرض هنا للهجة الفرد لأنها ليست ذات دلالة كبيرة في فهم البناء الاجتماعي، إنما نقدّم لما يهتم به اللّغويين وعلماء المجتمع، وهو دراسة اللّهجات الإقليمية régional dialectes واللّهجات الاجتماعية social dialectes.

وغني عن البيان أنّ اللّغة تختلف من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم، وهذا الاختلاف القائم يدرس وفق عوامل جغرافية.

والبحث في اللّهجات الإقليمية واللّهجات الاجتماعية بطبيعته حدث عقلي، يقتضي دراسة اللّهجة في بيئتها ذاتها، ويعتمد على المصدر البشري الذي يطلق عليه الباحثون مصطلح informant، ويتم جمع المادة وتصنيفها حسب الظواهر الصوتية والنحوية والدلالية ثم يتم توزيع هذه الظواهر على طرائق لغوية فيما يعرف بالأطلس اللّغوي.

ويعرف الدّرس اللّغوي الآن مجموعة من الأطالس، أما محاولات الخرائط اللّغوية فهي قليلة جدا، ولم تصل إلى رسم الأطلس كامل.

وأهم خطوة في رسم الخرائط اللّغوية هي رسم الخطوط اللّهجية وهي خطوط وهمية ترسم على وجه التقريب، والمشهور من رسم الأطالس اللّغوية حتى الآن أنّ المناطق اللّغوية تتنوع بهذه الخطوط إلى ثلاثة أنواع:

1- منطقة تتركز فيها ظاهرة لغوية معينة، بحيث تكون هذه المنطقة كالبؤرة التي تنشر منها هذه الظاهرة إلى المناطق المجاورة، وهي تسمى اصطلاحا بالمنطقة البؤرية.[54]

2- منطقة تنتشر فيها ظاهرة لغوية انتشارا غير مستقيم الخطوط، وإنما تتقاطع الخطوط في مكان واحد وقد تنتشر على هيئة مروحية.

3- منطقة تكون منعزلة جغرافيا، فتتركز فيها ظاهرة لغوية لا تنتشر بسبب الانعزال إلى مناطق أخرى، وهذا التنوع يطلق عليه مصطلح مناطق الحافة أو المناطق الهامشية.[55]

وتجمع الظواهر اللّغوية بطرق مختلفة أهمها في اللهجات الإقليمية، استخدام الاستبيانات التي ينبغي أنّ تتضمن معلومات عن الوالدين وعن الأجداد، ثم تنقسم وفقا لأغراض البحث إلى الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، مع التركيز على الأشياء التي تستخدمها البيئة استخداما أساسيا لأن المتكلم يتحدث حديثا طبيعيا عند التحدث عن هذه الأشياء، كالتركيز على أدوات الري والحرث والحصاد في المجتمع المصري مثلا، وهذا التركيز يطلق عليه الباحثون الألمان مصطلح water sachent { الكلمات والأشياء } ويعنون به الاهتمام بتوزيع الظواهر غير اللّغوية عند رسم الأطلس كالعادات والأدوات مما يفيد في فهم حركة الكلمات والأشياء.

إنّ دراسة اللّهجات الإقليمية على هذا المنهج دراسة علمية لا شك لفهم علاقة اللّغة بالبيئة، لتفهم البناء الاجتماعي في ضوء هذه العلاقات.

وهذه دراسة قد تكون مفيدة في فهم بعض الجوانب التاريخية المتصلة بالتطور اللّغوي.

اللّهجات الاجتماعية:

إنّ درس اللّهجات الاجتماعية في الأغلب لا يستبعد درس المكان ودرس العوامل غير الاجتماعية الأخرى في فهم الظواهر اللّغوية كما سيظهر في طرق البحث التي سنشير

[54] ينظر: عبده الراجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف بمصر 1968. ص 208-240

[55] Hall Robert: introductory linguistics, motilal banrsidess, Delhi, 1969 pp 239-252.

إليها، والبحث عن اللّهجات الاجتماعية يهتم بدراسة التنوع اللّغوي المنتظم، أي أنه يعنى بدراسة هذا النوع وفق المقاييس اجتماعية واضحة، كمقياس العمر والجنس والمهنة في المستوى الاجتماعي.

كما أنّ هذا التنوع يشمل المستويات اللّغوية، الصوتية والنحوية والدلالية

1- اللّهجة والعمر

2- اللّهجة والجنس

3- اللّهجة والمهنة

وهذه صيغة مقترحة لما ينبغي أنّ يتوافر لدى الباحث من معلومات ممن يستعين بهم في مادته.

الاسم.... الجنس.... العمر....

العنوان.....

آخر درجة علمية....

المعهد الذي تخرج فيه....

المدارس التي تعلم فيها.....

هل أنت أكبر ابن في الأسرة؟.. نعم...لا...

إذا لم تكن الأكبر فما هو ترتيبك إذن ؟....

محل ميلاد الوالدين....

الأب .....

الجد....

الجدة....

الأم.....

الجد ...

الجدة..

الدين...

اللّغة التي تتحدث بها في البيت ؟ ....

في العمل ؟ ....

هل تتحدث لغة أو لغة أخرى ؟.....

عمل الأب ....

عمل الأم....

عمل الزوج / الزوجة ....

الأماكن التي عاش فيها الزوج / الزوجة ....

جنسية الزوج / الزوجة ....

الأماكن التي عشت فيها غير هذا المكان ....

السنوات التي قضيتها هنا ....[56]

[56] Shay. Wolf ram. Rily: field techniques in an urban language study center for applied linguistics, Washington 1968 , p 56.

ومن الواضح أنّ هذه المعلومات ضرورية جدا في معرفة المصدر البشري والعوامل التي لها تأثير على لغة مما يمثل عنصرا أساسيا من عناصر التحليل اللّغوي، ومما يفيد في الوقت نفسه في دراسة البناء الاجتماعي.

وبعد فهذا هو المنهج الدرس اللّهجي كما يطبق الآن في علما اللّغة الاجتماعي وهو منهج يراه أصحابه ضروريا – لصلة الواقع اللّغوي الحي – لفهم خصائص اللّغة الإنسانية على العموم. [57]

الفصـل الـرابــع:

اللّغة والثقافة في مصر العقد الأخير:

لسنا بحاجة إلى التأكيد هنا إلى أننا نقصد " بالثقافة " ما اصطلح عليه الانثروبولوجيين من أنها طريقة حياة، إنها السياق الذي نعيش ونفكر ونرتبط بالآخرين في إطاره، وهي الرابطة التي تربط مجموعة من الناس بأخرى.[58]

ولعلنا نختار هنا بعض الأسس النظرية التي قد نراها ضرورية في إطار هذا الحديث.

1- إنّ الثقافة إذ تزود كل شخص بإطار من السلوك المعرفي الوجداني يكون صيغة للوجود الشخصي والاجتماعي.

2- اللّغة أهم مظاهر التعبير عن الثقافة.

3- من خصائص الثقافة ما يعرف بالانطباعات

[57] ينظر: مراد كامل: اللّهجات العربية الحديثة في اليمن، معهد البحوث والدراسات العربية 1968م.

[58] Larson, donnld n. and sralley, willium a.1972. becoming bilingual. A guide to language learner, new garaan, p 39

4- من المصطلحات التي تتصل باللّغة والثقافة اتصالا وثيقا ما يعرف بمصطلح العلاقة الثقافية، وهي تؤدي بالشخص إلى الإحساس بالغربة والغضب والعدوانية والتردّد والبؤس والشعور بالوحدة... بل قد تجلب عليه مرضا عضويا.

ويرى " مارك كلارك " أنّ اختيار نمط ثقافي آخر والارتباط به واستخدام لغته يشبه " ازدواجية الشخصية " حيث تصبح المواجهة الاجتماعية تهديدا فطريا فيلجأ الفرد إلى أساليب دفاعية لتخفيض ألامه.

1- إذ عليه أن يميز بين كل ما يقال له حتى يكون رده مناسبا

2- ويجد نفسه أحيانا محاصرا في موقف لا يستطيع الخروج منه.

3- وهو يعجز عن التعليق على ما يتلقاه

ومثل هذا الشخص يجد نفسه أمام الخيارات الآتية:

1- يظهر عليه الشك والتحدي

2- السخرية من كل شيء

3- إذا لم يسيطر عليه الشك أو السخرية مما يقال، فإنه يسقطه جميعه من حسابه ويحيط نفسه بسياج كي لا يراه ولا يسمع ما يجري حوله.[59]

هذه الأسس التي لا تخطأ العين العلمية في رصدها باعتبارها ظواهر كلّية نراها الآن واضحة وضوحا كبيرا حين نعرض للعربية والثقافية في مصر في العقد الأخير وبخاصة بين الشباب.

[59] Clark, mark a. 1967. Second language acquisition as a clash of consciousness. Language learning: 26,277,390.

ولعلي أسرع بعد هذا العرض إلى أنّ أقرر حالة العربية والثقافة عند الشباب في مصر في العقد الأخير تعيش درجة من درجات " الصدقة الثقافية " التي أشير إليها من قبل، وهناك مصطلح آخر ينطبق على حالتنا يمكن أن نسميه " بالديوان الثقافي " أو مصطلح آخر أخف هو " اللّحمة الثقافية "

ومن الواضح أن ثلاثة أنماط ثقافية بارزة تتراكم على حياة الشباب المصري في العقد الأخير هي:

1- أما النمط الأول فهو بحث الشباب عن " النموذج الثقافي " في القرون الماضية، وقد أصبح لهذا النموذج تجليات واضحة في نوع الملابس... وفي حركة الأعين والجبهة والشفتين وفي طريقة المشي والجلوس، ثم في أنواع المأكل والمشرب وأنماط العمل ثم في أنماط الأفراح والمآتم.

أما المجلس اللّغوي فهو أوضح في مستويات اللّغة جميعا في ظواهر الأصوات وبخاصة في صورته الفوقطعية، وهي أخف النصوص في التنغيم كأنه أكثر بروزا في اختيار الألفاظ في التحية والشكر والاعتذار والتعارف، ثم في قواعد الخطاب وفي كيفية البدء وتطوير الخطاب أو تغييره أو إنهائه... كما يضاف إلى ذلك أسماء المحلات والشركات والمؤسسات الاقتصادية التي انخرطت في هذا النموذج

2- وأما النمط الثاني فهو حركة الإنتاج الاقتصادي فيما يراه بثقافة " الشطارة " أو " المغامرة " الاقتصادية.

وتجلى في أنماط العمائل والمحلات والقرى السياحية والسيارات، وحتى أفراح الزفاف والمآتم... ليكاد يدخل كل أوجه النشاط الإنساني { التحية والشكر والإتقان على المواعيد

في النهوض عن الإتقان أو الالتفات حوله } . ثم نراه في إعلانات التهنئة والتعزية. وبعد ذلك المحلات المتنافية أمام هذا النمط وفي وسائل الإعلام المختلفة

3- ثم النمط الثقافي الثالث الذي يتخذ فكرة " العصرنة " أو " التحديث " محورا لها.[60]

وإذا كان وارسو " الصدقة الثقافية " يرون أن البرء منها يتجلى فيما يعرف بالتطبع الثقافي فإننا نرى أن حالتنا تقتضي ضرورة السعي الدائب نجد " تقصر الثقافة "، وهو لابد أن يكون سعيا دائبا لأن الهدف كبير جدا وهو يتصل بأسباب حياة هذه الأمة ومستقبلها في هذه القرية الكوفية الصغيرة... والخطوة الأساسية فيما ذلك كله هي تغيير التعليم في مصر تغييرا قد أراه جوهريا وشاملا

الفصل الخامس:

علم اللّغة التطبيقي المصطلح والمعنى:

شهدت اللّغة في العرب في القرن العشرين، ففي أوائل هذا القرن ظهر " علم اللّغة " linguistique " باعتباره منهجا جديدا يدرس اللّغة على أساس " علمي "

ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا المنهج نموذجا علميا لكثير من العلوم الإنسانية.

ولقد شغل علم اللّغة في تطوير نظريات متماسكة، وفي استثمار مناهج العلم التجريبي في دراسة الظواهر اللّغوية.

ومن المهم أنّ نشير هنا إلى علم اللّغة ينهض على دعامتين؛ نظرية لغوية linguistique Theory ووصف لغوي linguistique description تهتم النظرية بالإطار المعرفي

[60] ينظر: فصول في علم اللّغة ص 116-118 .

العام عن اللّغة وعن طبيعتها، ويقدم الوصف المعالجة العلمية لظواهر اللّغة على مستوى الأصوات والصرف والنحو والدلالة، عن تنوع في الاتجاهات والمدارس

وهذا التطور في علم اللّغة ميز بين منهجين متمايزين:

علم اللّغة النباتي structurale linguistique وعلم اللّغة التوليدي التحويلي علم اللّغة فتح أفاقا جديدة للبحث لم تكن معروفة من قبل، علوم لغوية فرعية كثيرة منها: علم اللّغة التطبيقي appliqué linguistique الذي هو موضوع هذا الكتاب.

ظهور المصطلح:

ظهور علم اللّغة التطبيقي حوالي 1946 م حين صار موضوعا مستقلا في معهد تعليم اللّغة الانجليزية بجامعة " ميتشجان " ن وقد كان هذا المعهد متخصصا في تعليم الانجليزية لغة أجنبية تحت إشراف العالمين البارزين " تشارلز فريز وروبرت لادبو " وقد شرع هذا المعهد مجلته المشهورة تعلم اللّغة * مجلة علم اللّغة التطبيقي – : langage Learning journal on applique linguistique ثم تأسست مدرسة علم اللّغة التطبيقي école on applique linguistique في جامعة إدبنره 1958 م ، وهي من أشهر الجامعات تخصصا في هذا المجال، ولها مقر خاص يحمل اسم الجامعة في هذا العلم.[61]

وبدأ هذا العلم ينتشر وتأسس " الاتحاد الدّولي لعلم اللّغة التطبيقي " aila سنة 1964 م association international de linguistique appliquée

معناه ومجلاته:

[61] ينظر: المرجع نفسه ص 121-122.

منذ ظهر علم اللّغة التطبيقي والباحثون مختلفون بشأنه، يظهر ذلك في علمين: مجلات هذا العلم والمصطلح الذي استقر عليه.

أما الأمر الأول يظهر واضحا من المؤتمرات التي عقدت تحت مصطلح " علم اللّغة التطبيقي " وتضم هذه المؤتمرات عددا كبيرا من المجالات أهمها:

{ تعلم اللّغة الأولى وتعليمها، تعلم اللّغة الأجنبية، التعدّد اللّغوي، التخطيط اللّغوي، علم اللّغة الاجتماعي، علم اللّغة النفسي، علاج أمراض الكلام، الترجمة، المعجم، علم اللّغة التقابلي، علم اللّغة الحسابي، أنظمة الكتابة...

ومن الواضح أنّ عددا من هذه المجالات قد أصبح علما مستقلا ، خاصة علم اللّغة الاجتماعي sociolinguistiques علم اللّغة النفسي psycholinguistique ، فهي في معظمها تدل على وجود مشكلة ما تتطلب حلا؛ فالتعدد اللّغوي مشكلة والتخطيط اللّغوي مشكلة وأمراض الكلام مشكلة وتعليم اللّغة مشكلة ... وهكذا.

ومع هذه المجالات التي نراها في مؤتمرات " علم اللّغة التطبيقي " فإنّ مجالا واحدا يكاد يغلب على هذا العلم، وهو مجال " تعليم اللّغة " سواء لأبنائها أم لغير الناطقين بها، باعتبارها لغة أولى أو لغة أجنبية ، وإن تكن معظم بحوث علم اللّغة التطبيقي تتجه إلى تعليم اللّغة الأجنبية، فقد اقترح العديد من الباحثين على اختلافهم بتسميته:[62]

الدراسة العلمية لتعليم اللّغة الأجنبية، علم تعليم اللّغة، علم اللّغة التعليمي.

وقد انتشر في ألمانيا علما آخر هو تعليم اللّغة وبحث التعلم.

[62] Wilkins, d, linguistics in language teaching, London 1972, p 197.

ورغم هذه الاقتراحات فقد استقر مصطلح علم اللّغة يمثل العنصر الوحيد في علم اللّغة التطبيقي ومنه جاءت التسمية.

ما طبيعة هذا العلم إذا، وما حدوده، ومجالاته ؟

يرى بعضهم أنه علم مستقل بذاته، له إطاره المعرفي الخاص، وله منهج يتبع من داخله، ومن ثم فهو بحاجة إلى نظرية مستقلة عن العلوم الأخرى.

ومعنى ذلك أنّ علم اللّغة التطبيقي ليس سلسلة من " الأساليب " و" الإجراءات " و " العمليات ".

وهو يمثل جسرا يربط العلوم التي تعالج النشاط اللّغوي الإنساني كعلوم اللّغة والنفس والاجتماع والتربية، حين يكون الأمر خاصا باللّغة.

علم اللّغة التطبيقي ومصادره العلمية:

" تعليم اللّغة " مشكلة يحاول " علم اللّغة التطبيقي " أن يبحث لها عن .... وهو جسر يربط بين عدد من العلوم التي لها اتصال بلغة الإنسان.

علم اللّغة التطبيقي إذن علم متعدد المصادر والروافد، وهناك أربعة مصادر لعلم اللّغة التطبيقي هي:

1. علم اللّغة
2. علم اللّغة النفسي.
3. علم اللّغة الاجتماعي
4. علم التربية.

ونحن نعرض هنا لطبيعة العلاقة التي تربط علم اللّغة التطبيقي بهذه العلوم في محاولته البحث عن حل لمشكلة تعليم اللّغة.[63]

علم اللّغة:

وعلم اللّغة هذا ليس المقابل " النظري " لعلم اللّغة " التطبيقي " على ما أشرنا، وإنما هو العلم الذي يدرس اللّغة على منهج " علمي " مقدما نظرية لغوية، ووصفا لظواهر اللّغة وحين علوم من مثل علم اللّغة الاجتماعي وعلم اللّغة النفسي، وعلم اللّغة التطبيقي، أطلق بعض الباحثين على علم اللّغة اللّغوي linguistique linguistiques يميز له من هذه العلوم، وتأكيد لطبيعته الأصلية، باعتباره علما مستقلا يهدف إلى وصف اللّغة الإنسانية وصفا علميا يصرف النظر عن الفوائد العلمية لهذا " الوصف " بل متجنبا هذه الفوائد في أغلب الأحيان.

ولسنا هنا بصدد الحديث المفصل عن علم اللّغة، ولا عن العلوم الثلاثة الأخرى وإنما نود أنّ نلفت إلى المسائل العامة التالية؛ وهي التي تتصل بموضوع " تعليم اللّغة " اتصلا مؤثرا:

1- إذا كان علم اللّغة يهدف إلى دراسة الكلام الإنساني مجددا منهجه على أساس موضوعية العلم، فإن الطابع العام له كان طابعا تجريديا، لأنه أصر منذ دي سوسير أنّ يكون درسه موجها للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

2- وهذا الطابع التجريدي كان ثمرة لما أكده دي سوسير أيضا أول الأمر من أنّ علم اللّغة علم وصفي dexriptive وليس علما معياريا prexriptive أي أنه يصف الشيء بما هو عليه.

3- شهد علم اللّغة – على ما أشرنا – تغيرا جوهريا في النظرية، وتمايزت حتى الآن نظريتان.

[63] ينظر: فصول في علم اللّغة، المرجع السابق ص 131.

النظرية البنائية والنظرية التحويلية التوليدية:

وبعد ذلك يأتي درس الأداء اللّغوي performance وهو ما يتحقق أمامنا فعلا، لكنه لا يمكنه فهمه إلا في ضوء معرفتنا بالفطرة اللّغوية، من هنا ظهر مصطلح البنية العتيقة deepstructure والبنية السطحية surface structure .

والذي يهمنا هنا أنّ هذا كله أفضى بالمنهج إلى عكس ما كان عليه الشأن في النظرية البنائية التي تتبع المنهج الاستقرائي، إذ من الطبيعي أنّ النظرية التحويلية، نظرية عقلية تبدأ بنظرية عن طبيعة اللّغة، ثم تحدّد نوع المادة وإجراءات التقعيد؛ أي أنها ذات منهج استدلالي déductive [64]

2- ***علم اللّغة النفسي:***

مجال هذا العلم هو السلوك اللّغوي langage behavior lb للفرد والمحوران الأساسيان في السلوك هما الاكتساب اللّغوي acquisitition والأداء اللّغوي cognitive عند الإنسان.

فأما الاكتساب اللّغوي فهو من أهم قضايا، العلم المعاصر، ذلك أنّ الاكتساب اللّغوي يحدث في الطفولة، فالطفل هو الذي يكسب اللّغة.

ماذا يحدث داخل الطفل حين يتعرض للغة ؟ هذا ما يسعل الآن العلم في محاولة الكشف عنه، ويكاد يكون هناك اتفاق أنه توجد علاقة مابين الاكتساب اللّغوي والتطور البيولوجي لدى الطفل، ومهما يكن من أمر فإنّ هناك اتجاهين في فهم الاكتساب اللّغوي.

---

[64] De Saussure, f, course in general linguistics, London 1966, p 232.

أ/ اتجاه استقرائي: يرى أنّ الطفل يجمع ما يتعرض له من ظواهر اللّغة وتخزينها، ثم يصل إلى تجريديات عنها عن طريق تصنيفها وإجراء تعميمات عليها

ب/ اتجاه استدلالي يرى أنّ الطفل لديه نظرية فطرية عن اللّغة مركوزة فيه، وهي تتكون من مفهومات موروثة.

ومن الضروري أنّ نوضح بين اكتساب اللّغة، وتعلم اللّغة، فالاكتساب يحدث في الطفولة، أما تعلم اللّغة فيحدث في مرحلة متأخرة حين يكون الأداء اللّغوي

وأما الأداء اللّغوي فهو المجال الثاني لعلم اللّغة النفسي، كيف يؤدي الإنسان الفرد لغته ؟ وماذا يكمن وراء ذلك من عمليات ؟

والأداء اللّغوي ضربان، أداء إنتاجي productive نشاطا أو فعلا active وهو حين ينتج الإنسان اللّغة، أي حين يكون متكلما أو كاتبا، وأداء استقبالي réceptive وهو حين يستقبل الإنسان اللّغة، أو حين يكون مستمعا أو قارئ.

ومن الجوانب التي يهتم علم اللّغة النفسي بدراستها في الأداء اللّغوي دراسة الخطأ سواء كانت أخطاء إنتاجية أم أخطاء استقبالية والبحث عن العوامل النفسية وراءها.

علم اللّغة النفسي إذن يدرس السلوك اللّغوي عند الإنسان، وفق منهجين: منهج سلوك يدرسه في إطار المثير والاستجابة، ومن ثم يدرسه في إطار سلوك التعلم بصفة عامة عند الإنسان أو الحيوان، كمقاصد المتكلم ونواياه وخطته في الكلام وغير ذلك... ، ويؤثر فيه عوامل خارجية.

والمنهج الثاني في فهم السلوك اللّغوي هو المنهج العقلي الذي يرى أنّ السلوك الإنساني أكثر تعقيد من السلوك الحيواني، فضلا عن أنّ السلوك اللّغوي خاصية إنسانية لا يشترك فيها

غيره من الكائنات،ومن هنا انتقل الاهتمام من البيئة والعوامل الخارجية ولذلك ظهر مصطلح جهاز الاكتساب اللّغوي lad linguistique acquisition الذي يمد الإنسان بافتراضات عن اللّغة.

علم اللّغة النفسي إذن يختص بالسلوك اللّغوي عند الفرد، ونحن حين نلفت إليه باعتباره مصدرا من مصادر علم اللّغة التطبيقي، فهناك مجالات مشتركة خاصة مع علم النفس التربوي، فيما يتصل بالتعلم ونظرياته.[65]

3- *علم اللّغة الاجتماعي:*

علم اللّغة الاجتماعي يدرس اللّغة باعتبارها تتحقق في مجتمع أي يدرس الظاهرة اللّغوية حين يكون هناك تفاعل، متكلم ومستمع وتتوزع فيه الأدوار والوظائف وفق قواعد متعارف عليها داخل المجتمع.

ولقد ازدهرت بحوث علم اللّغة الاجتماعي في الآونة الأخيرة بما انسيغ على الدرس اللّغوي بطابعه الإنسانين ونحن نجتزئ هنا بأهم المسائل التي نراها وثيقة الصلة بتعليم اللّغة.

أ/ اللّغة والثقافة ب/ اللّغة والاتصال ج/ الأحداث الكلامية د/ الوظائف اللّغوية و/ التّنوع اللّغوي [66]

4- *علم التربية:*

أن تعليم اللّغة يتحرك في ضوء سؤالين: ماذا نعلم من اللّغة ؟ وكيف نعلمه ؟ ومن الواضح أنّ السؤال الأول عن المحتوى والسؤال الثاني عن الطريقة يتكفل بالإجابة عن السؤال الأول علم اللّغة، وعلم اللّغة الاجتماعي، وعلم اللّغة النفسي في بعض الجوانب، أما السؤال الثاني فيجيب

[65] ينظر: عبده الراجحي، فصول في علم اللّغة، المرجع السابق ص.134- 136.
[66] ينظر المرجع السابق، ص 138.

عنه علم التربية، وفي بعض جوانبه أيضا علم اللّغة النفسي، وبعيدا عن الحديث المفصل أيضا نشير إلى المسائل التي تتصل بموضوعنا اتصالا مباشرا

أ/ نظرية التعلم:

يهتم علم النفس التربوي اهتمام خاصا بنظريات التعلّم ويشركه في ذلك علم اللّغة النفسي، فالتعلم يأتي بعد الاكتساب، ومرة أخرى نجد التمايز نفسه بين منهجين: سلوكي يركز على الظواهر الملموسة التي تخضع للملاحظة، وتعلم اللّغة يبدأ من البيئة، وتؤثر فيه عوامل خارجية هي " المحاكاة " و " التكرار " و " التعزيز "، ومنهج آخر عقلي يرى أنّ كل إنسان مزود بجهاز لغوي فطري يمده بافتراضات عن اللّغة

ومهما يكن من أمر فإنّ الاتجاه السلوكي استقرائي يهدف إلى ترسيخ العادات اللّغوية، الاستعانة بالعوامل الخارجية، أما الاتجاه العقلي فاستدلالي يهدف إلى تقوية القدرة اللّغوية التي فطر عليها الإنسان عن طريق تمكينه من وسائل الاستدلال الصحيح بإشراكه إشراكا فعليا في إنتاج اللّغة لا محاكاة ما يتلقاه منها [67]

ب/ خصائص المتعلم:

وهي معرفة خصائص المتعلمين، ولابد من إيجاد فروق ودراستها، وهذه الخصائص تختلف درجة أهميتها بين متعلم للغته الأولى، ومتعلم للغة أجنبية، من خصائص العمر واستعداد التلميذ للتعلم اللّغوي وقدراته المعرفية ، والمعلومات اللّغوية السابقة، أو معرفة بلغة أجنبية أخرى، ثم شخصيته الدفاعية التي تحضره إلى تعلم اللّغة

ج/ الإجراءات التعليمية:

[67] trudgill, p, sociolinguistics. An introduction, harmonds worth, 1974 عن علم اللّغة الاجتماعي أنظر:

إن تعليم اللّغة يقف عند وضع مقرر تعليمي لابد له من إجراءات تضعه موضع التنفيذ داخل قاعة الدّرس، وتختلف تعليم اللّغة من موقف لآخر تبعا لعوامل كثيرة منها: أهداف المقرر، وخصائص المتعلمين التي أشرنا إليها، من عهنا ظهر المدخل الإجرائي

د/ الوسائل التعليمية:

أصبحت الوسائل التعليمية أساسية في تعليم اللّغات لتطوير المهارات التي تحدّدها الأهداف، وقد تطورت هذه الوسائل من استعمال المذياع والتلفاز المعامل اللّغوية والحاسب الآلي في تنمية القدرة الإنتاجية للمتعلم.[68]

علاقة علم اللّغة التطبيقي بهذه المصادر:

هذه المصادر الأربعة التي يستمد منها علم اللّغة التطبيقي مادته في تعليم اللّغة ويمثل علم اللّغة الجسر الّذي يربط بين هذه العلوم، وقد اتضح أنّ علم اللّغة يقدم وصفا علميا للّغة، أنّ علم اللّغة النفسي يقدم درس السلوك اللّغوي عند الفرد كما يمثل في الاكتساب والأداء، وأنّ علم اللّغة الاجتماعي يقدم السلوك اللّغوي عند الجماعة، وأنّ علم التربية يقدم الإجراءات التعليمية، وليس معنى ذلك أنّ علم اللّغة التطبيقي يستند إلى هذه العلوم الأربعة فحسب، بل يسهم في حل مشكلة تعليم اللّغة، ويتصف هذا العلم بالمرونة وبالقدرة على التطور والتغيير بما يعين على تحسين سبل الحل.

ولعلنا نضرب هنا مثلا بالعلاقة بين علم اللّغة التطبيقي وعلم اللّغة.

أنّ علم اللّغة يصف اللّغة في أكمل طريقة ممكنة، والوضوح اللّغوي يتصف بالاطراد والنمطية والتجريد من السياق وهو وصف علمي.

[68] ينظر: أحمد زكي صالح، نظرية التعلم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م.

ومن المعروف أنّ لوصف اللّغوي أشياء كثيرة لا تصلح لتعليم مثل الحديث عن المركب الاسمي np والمركب الفعلي vip و الأضمرة pronomalization وغير ذلك، ويمكن أنّ تطبق ذلك على وصف العربية مما نجده في كتب النحو العربي من مثل الاشتغال التنازل والعمل وغير ذلك.

من أجل ذلك نشأ نحو آخر يعرف بالنحو التعليمي وهو يختلف اختلافا جوهريا عن النحو العلمي، فنحن حين نعلم اللّغة لا نعلم الأنماط اللّغوية المقبولة نحويا فحسب، بل لابد أن تكون هذه الأنماط " ملائمة " مناسبة للموقف والحديث الكلامي، نعلّ التلميذ كيف ينتج جملا نحوية صحيحة ومتى يستعملها وكيف يستعملها.

وقد أشرنا من قبل أنّ علم اللّغة وصفي، والنحو التعليمي لابد أنّ يكون معياريا، وهذه إحدى مزايا النحو العربي، ومن المعروف أن ترتيب المادة اللّغوية في علم اللّغة يستند إلى مقاييس لغوية داخلية، أما النحو التعليمي فيستند إلى مقاييس تعليمية ولابد أنّ يكون الترتيب مختلفا.[69]

الفصل السادس:

اكتساب اللّغة ومستقبل تعليم العربية:

قد يكون من المقبول أنّ نقول في مثل هذا المنتدى وفي مثل هذا الوقت من عمر الزمان إن تعليم اللّغة علم فقد صار لها من الرسوخ فكرا وسلوكا، وهذا العلم قد يكون من علوم المستقبل الكبرى التي سوف تؤثر على كثير من النظريات المعروفة عند الإنسان.

وعلم اللّغة لا يمكن أنّ ينهض به فرع واحد من العلوم، بل أنّ اللّغة أخطر أنّ تكون تترك للغويين أخطر أنّ تترك للتربوي وحده، وتلك سمة جوهرية في العلوم التطبيقية، إذ تبني

[69] ينظر: فصول في علم اللّغة: المرجع السابق، ص 141.

جسرا قويا يصل بين عدد من العلوم التي تتصل بالموضوع سبب ما، ولعل تعليم اللّغة أكثر هذه العلوم وضوحا في هذا الجانب.

وفي النصف الأخير من هذا القرن ظهرت نظريات وأفكار كثيرة بين سلوكية ومعرفية ونباتية وتوليدية، وليس من الجدير أنّ نشير إلى انشغال العلم بالموضوع وتكييف بها يجري الآن من تطور المجال.

إنّ دور تشومسكي كان مؤثرا في هذا الاتجاه، وذلك حين أقرّ في الستينات على ضرورة وجود نظرية لغوية تفسر لنا كيف يستطيع الطفل أنّ يتقن لغة في وقت قصير جدان رغم الطبيعة التجريدية من اللّغة وكذا امتلاك الإنسان بجهاز داخلي قد يشبه " الصندوق الأسود " المعروف أطلق عليه جهز اكتساب اللّغة.

وصحيح أنّ فكرة هذا الجهاز خاصة لكنها فتحت أفاقا كثيرة لم تكن موجودة إبّان النظرية السلوكية التي وصلت إلى طريق مسدود، ويكفي أنّهت مهدت السّبيل للبحث في مسائل مطلقة، كالنظام التجريبي للغة والكليات اللّغوية ونظريات المعنى، وطبيعة المعرفة البشرية، وقد برز الاتجاه الفطري لاستكشاف البنى العميقة المجردة في لغة الطفل، أي أنّ البنى التي لا تظهر للرؤية، ولا تخضع للملاحظة.

وقد جرت بحوث كثيرة فيها شواهد على وجود أنماط لغوية معرفية مشتركة قد ترجح أنّ البشر مبرمجون بيولوجيا و أنهم كالنباتات مبرمجون فطريا على أنّ يثمروا خصائص لغوية معينة.

وفي أوائل السبعينات تحرك البحث خطوة أكثر عمقا في جوهرة اللّغة.

أخذت تعالج الذاكرة والإدراك والفكر والمعنى والعاطفة تنتظم متكاملة و متداخلة في لبنية العليا في العقل البشري... وجرت أبحاث كثيرة عن التفاعل بين قدرات الأطفال الإدراكية والمعرفية وخبرتهم اللّغوية تركز على الخصائص الاتصالية للغة عند الأطفال.

ماذا يعرف الأطفال؟ وماذا يعرفون عن التكلم مع الآخرين؟ وماذا يعرفون عن ترابط أجزاء الخطاب { علاقة الجمل } ؟ وماذا عن التفاعل بين المتكلم والمستمع؟ وماذا عن مفاتيح الحوار ؟ ... وقد أحدث هذا الاتجاه في البحث عن قلب اللّغة الحقيقي وهو وظيفتها الاتصالية التي أصبحت تعالج الآن بكل أشكالها.

ومع غلبة الاتجاه الاتصالي أخذ الدرس يرجع إلى الكثير من الموضوعات التي كانت تمثل مجلات رئيسة عن السلوكيين، مثل المحاكاة و " التعرض " فقد مثلث المحاكاة والتعرض مجال اكتساب اللّغة عند الطفل.

وكذلك الأطفال يفهمون أكثر مما ينتجون مثلا، كما أنّ الكبار يفهمون كلمات أكثر من تلك التي ينتجونها.

ما الأسس البيولوجية والوراثية التي تكمن وراء تلك العمليات المعدة داخل المخ البشري حين يكتسب اللّغة

هل يمكن يوما أنّ نتوصل إلى الأسرار التي قد تكشف لتأليف، يستطيع الطفل أنّ يسيطر على لغته سبعة سنوات قليلة جدا ودون تعليم مخطط، وهل نستطيع أنّ نستثمر ذلك في تعليم اللّغة.

وثمة أسئلة جملة جهود الباحثين تركز على الطفل منذ ولادته إلى سن الخامسة... ، بل ظهرت اتجاهات جديدة ترى ضرورة البدء قبل الولادة لمحاولة معرفة الوظائف التي تجري داخل مخ الجنين وهو في القرار المكين

إنّ المادة التي بين أيدينا عن الاكتساب إنما هي ثمرات البحوث الغربية؛ ولم يسهم درس العرب إلى أنّ قدرت الدراسات المتكاملة عن الاكتساب عند الأطفال في مصر

إنّ أقل ما يقال عن العربية الآن في مصر وفي العالم العربي تعليم مريض، ولا حاجة لنا أنّ نغلق المسألة على مشكلة الازدواج اللّغوي، لأنّ المسألة مسألة علم، والأصوات ترتفع في العالم العربي عن التنمية، ولا تنمية بدون تعليم لغوي سليم ينبني على أساس من العلم. [70]

الفصل السابع:

العوامل الاجتماعية والثقافية:

عرض الفصل السابق لجانب واحد من جوانب المجال الوجداني في اكتساب اللّغة الثانية، وكيف تؤثر المتغيرات الشخصية داخل النفس، ورؤية الآخرين لها في حال التعامل الاجتماعي، لكنه عنصر فردي متخصص في تلك العملية وهو: تعلم ثقافة أخرى والتغلب على الحواجز الفردية والاجتماعية التي تنشأ عند التقاء ثقافيين، وعلاقة تعلم الثقافة بتعلم اللّغة الثانية.

والثقافة طريق الحياة، وهي الذي نشعر ونفكر ونشعر ونرتبط بالآخرين بإطاره، وهي المادة اللاصقة التي تربط مجموعة من الناس بأخرى. [71]

" والثقافة هي التي توجه سلوك الناس في المجتمع، وتتجسد في حياة الأسرة وتضبط سلوكنا في جماعات."

[70] ينظر: فصول في علم اللّغة: المرجع السابق، ص 147-150.
[71] John donne: devotions xvil.

ولقد نعرف الثقافة بأنّها الأفكار والعادات والمهارات والفنون والأدوات التي تمييز جماعة بشرية من أخرى، وهي " نسق من أنماط متكاملة، يكمن معظمها تحت الوعي، لكنها جميعا تحكم السلوك البشري، كما تحكم " الخيوط حركة العرائس الدمى " [72]

من الحقائق المؤكدة أننا لا نعرف مجتمعا بلا ثقافة، ولعل ذلك يكشف احتياج البشرية إليها لتسلية مطالبها البيولوجية والنفسية.

وهذه البنى متباينة كلّ التباين، ومن ثم فإنّ الثقافات تتسم بسمات مختلفة اختلافا كبيرا غير أنّ أنماط الحياة – على ما يرى الانثروبولوجيون تشترك في خصائص كلّية، يراها بعضهم سبع خصائص:[73]

1- أصل في العقل البشري

2- تجعل من التفاعل البشري والبيئي أمرا يسيرا

3- تلبي حاجات بشرية أساسية.

4- تراكمية وقابلة للتغيير

5- تصلح أنّ تكون بنى متناسقة

6- يتعلمها أفراد المجتمع ويشتركون فيها

7- تنتقل إلى الأجيال التالية.

وعلى، ذلك فإنّ الثقافة تزود كل شخص بإطار من السلوك المعرفي والوجداني يكون صيغة للوجود الشخصي والاجتماعي.

---

[72] Condon 1973: 4.

[73] Murdock, g . p 1961: 45-54.

وعلى الرغم من ازدياد حركة السفر والاتصال في الربع الأخير من هذا القرن، فلا يزال كل منا يرى أنّ إدراكه للواقع هو الإدراك الصحيح، وهو إدراك ذاتي لاشك، لأنه يصدر عن نمط انتقائي واع، وإنما يبدو إدراكا موضوعيا عن شخص أو فكرة قد يعد عند شخص من ثقافة أخرى، ضربا من التكلف والوهم، ومن الطبيعي أنّ ينشأ بين أصحاب الثقافات، لأنّ الاختلاف واقع، ومن واجبنا أنّ نتعلم كيف نتعامل معه حين تلتقي ثقافتنا في موقف ما.

والثقافة بوصفها مجموعة متأصلة من أنماط السلوك والإدراك تمثل أهمية في تعلم لغة أجنبية، فاللّغة جزء من الثقافة والثقافة جزء من اللّغة، وبالتالي فإنّ اكتساب لغة أجنبية يعني اكتساب ثقافة أجنبية.

وفي هذا الفصل جوانب مهمة في تعلم اللّغة الأجنبية وسياقها الثقافي:

- الانطباعات الذهنية الثقافية.
- المواقف الشخصية.

ثم ننقل إلى ما نعنيه بتعلم ثقافة أخرى، والعلاقة بين اللّغة والفكر والثقافة. [74]

الانطباعات الذهنية عن الثقافة:

يصور " مارك ثوين " في كتبه بعض الثقافات واللّغات، فيصف اللّغة الفرنسية بأنها " معقدة كل التعقيد حتى إنّك لا تدري حين تبدأ جملة ما أتحرج منها حيا أم لا " ويصف الألمانية في كتاب آخر بأنها موغلة في الصعوبة، وأنّ الشخص الموهوب يستطيع أنّ يتعلم الانجليزية في ثلاثة ساعات والفرنسية في ثلاثين يوما، والألمانية في ثلاثين سنة، ويرى أنّ

[74] The innocent abroad.

الألمانية ينبغي إصلاحها، وإلا فإنها جديرة أنّ توضع مع اللّغات الميتة، إذ أنّ الموتى وحدهم هم الذين يستطيعون بما لديهم من وقت أنّ يتعلموها

كيف تتكوّن الانطباعات الذهنية؟

إنّ بيئتنا الثقافية هي التي تشكل نظرتنا إلى العالم، حتى أنّنا ندرك الواقع إدراكا موضوعيا، والعقل المتفتح هو الذي يتعرف إلى الواجهات الأخرى.

ويتفهمها، ويقدر مابين الثقافات من فروق، أما العقل المنغلق فلا ينتج الافتراضات غائمة.

وهذه الخصائص باعتبارهم شركاء في مجتمع، إذ كل إنسان فرد متميّز له خصائصه السلوكية في صوغ العادات الثقافية العامة.

وقد أظهرت البحوث التي أجريت على الثقافات المختلفة أنّ هناك خصائص تميّز كلّ ثقافة من أخرى، ويستخلص " كون دون " من أبحاثه أنّ نظرة الأمريكيين تسيطر عليهم النظرة النفسية الحركية، أما الفرنسيون فنظرتهم " معرفية " على حين تتصف بالنظرة الاسبانية – بالانفعال والسلبية والحدث. ومن هذه الأوصاف العامة تنشأ الانطباعات الذهنية.

وإنّ تجميع هذه الانطباعات تجميعا واعيا يعين المرء على فهم الثقافات الأخرى وعلى إدراك ما بينها وبين ثقافته من فروق.

ويحتاج متعلمو اللّغات الأجنبية ومعلّموها إلى فهم الفروق الثقافية كي يدركوا أنّ كل إنسان ليس نسخة مكرّرة منه، والناس ليسوا قوالب متشابهة، فالفروق بين الجماعات والثقافات حقيقة واقعة، وعلينا أنّ نحترم ونقدر هذه الفروق، ونعرف كيف تحترم شخصية كلّ إنسان.[75]

[75] ينظر: فصول في علم اللّغة المرجع السابق، ص 156-158.

الاتجاهات:

ينطوي تكوين الانطباع الذهني – في الأغلب على اتجاه شخصي اتجاه لغة أو ثقافة ما، وقد يكون اتجاها سلبيا كتلك الفقرات التي نشرت عام 1940 في إحدى دوائر المعارف عن الأدب الصيني.

ونحن لا نجد آراء كهذه في دوائر المعارف الحالية، فالاتجاهات المتّحيرة لا تنهض على معرفة علمية، بل على انطباعات ذهنية تصدر عن معلومات غير صحيحة وعن تفكير متعصب متطرف.

والاتجاهات تنمو في مرحلة الطفولة المبكرة، وتشكل من مواقف الولدين والأقران والاتصال بأشخاص مختلفين، وتفاعل العوامل الوجدانية في الخبرة البشرية، وهذه الاتجاهات تشكل عنصرا من إدراك المرء لذاته، وللآخرين والثقافة التي ينتمي إليها

وقد حاول " جاردنز " و " لام برت " أنّ يعرف تأثير الاتجاهات في تعلم اللّغة، أهمها ما يعرف بخاصية الجماعة، وهو الموقف الذي يتخذه المعلم من الجماعة الثقافية التي يتعلم لغتها، إذ ظهر أنّ الكندّي الناطق بالانجليزية لديه دفاعية قوية لتعلم الفرنسية، وذلك لموقفه الايجابي للكندي الناطق بالفرنسية، والموقف من تعلم لغة ما يتفرع من مواقف الدارسين من ثقافتهم وتعقيبهم العرقي وتفضيلهم للغتهم الأم.

وقد أجرى " أوللر" وزملاؤه دراسة واسعة على العلاقة بين الاتجاهات والنجاح في اللّغة، ولعلّ ما اتفقت عليه هذه الدّراسات أنّ مواقف الدارسين الايجابية من أنفسهم ومن لغاتهم ومن اللّغة الأجنبية التي يتعلّمونها تقضي إلى إتقان تعلم هذه اللّغة.

والاتجاهات الدافعية تقوي الدافعية لدى متعلمي اللّغة الأجنبية، على حين تضعفها الاتجاهات السلبية، وعليه أنّ المدرس يدرك أنّ لكل متعلم اتجاهات ايجابية وأخرى

سلبية،وعليه أنّ يسعى إلى تغيير الاتجاهات السلبية، وذلك بتعريفه بالواقع الحقيقي وتيسير السبيل إلى الاتصال بآخرين من ثقافات مختلفة، إنّ هذه الاتجاهات السلبية تنشأ عن انطباع ذهني زائف أو تعصب عرقي، والمدرس يسهم في إزالة الأوهام لدى المتعلم عن الثقافات الأخرى، ويغيرها إلى فهم واقعي بحيث تكون جديرة بالتقدير والاحترام.[76]

التطبع الثقافي:

إنّ الطبيعة الوجدانية بسبب الإطار الاجتماعي الكبير للغة، ذلك أنّ تعلم لغة ثانية ليس إلا تعلم ثقافة ثانية،ولكي نعرف ذلك لابد أنّ نفهم طبيعة " التطبع الثقافي " و " الصدمة الثقافية " و " التفاوت الاجتماعي "

وليس من العسير أنّ ندرك تعقد " الطابع الثقافي " إذا تذكرنا ما زعمه بعضهم من أنّ الفرنسي يصدر عن مبدأ معرفي والأمريكي عن مبدأ حركي نفسي والاسباني من مبدأ وجداني ذلك أنّ التهيأ لاستقبال ثقافة جديدة تحتم إعادة تكوين منطلق التفكير والشعور .

ولنضرب على ذلك مثلا الموقف الأوروبي من الثقافة الأمريكية التي يراها حافلة بالإثارة متسارعة الحركة، لا تفسح مجالا للعواطف الشخصية ولا للتأمل على حين يرى الأمريكي في الحياة الفرنسية المنتظمة الإيقاع تخلفا وعمقا، ويرى في الثقافة الاسبانية هدر الوقت، وللقدرات البشرية، وينظر الاسباني إلى الحياة الفرنسية المنهجية على أنها حياة باردة.[77]

ويرى الفرنسي في المسلك الاسباني السريع دليلا على الإهمال وعدم المسؤولية ، وحين يتحدث عن اللّغة تصبح عملية التطبّع الثقافي أكثر عمقا، وذلك أنّ اللّغة أهم مظاهر التعبير عن الثقافة.

[76] Oller, Hudson and lin 1977, chihara and oller, 1978, oller, Baca and vigil 1978.
[77] Condon 1973.: 22.

أما الصدمة الثقافية، فتجربة عامة يعينها كل من يتعلم لغة ثانية في بيئتها الثقافية، وهي قد تفضي بشعور عادي إلى الضيف أو أزمة نفسية عميقة، وقد يؤدي بالدارس إلى الإحساس بالغربة الغضب والعدوانية والتردد والبؤس والشعور بالوحدة والحنين إلى الوطن، بل قد يجلب عليه مرضا عضويا.

ويصنف " بيتر آدلر " الصدمة الثقافية من منظور متخصص:

" تمثل الصدمة الثقافية شكلا من أشكال القلق الذي ينتج عن إدراك العلاقات الاجتماعية وعدم فهم رموزها، والشخص الذي يعني هذه التجربة يعكس قلقه وعدوانيته في عدد من الوسائل الدفاعية كالكبت والانطواء والعزلة والرفض، فكل أولئك يتحول سلوكيا إلى شعور بانعدام الأمن، والوحدة والغضب والإحباط والشك في الكفاءة الذاتية، وحين تختفي أدوات الفهم الثقافي يفقد المرء حسه ويسيطر عليه الخوف، ويصبح غريبا حتى عن الأشياء التي يعرفها ويفهمها.

ويصنف الانثروبولوجي " **جورج فستر** " الصدمة الثقافية مستواها العنيف بأنها مرض عقلين، ومن أجل ذلك لا يشعر الضحية بأنه مريض، بل يرى أنه سريع الانفعال، مكتئبا، قلقا بسبب ما يلقاه من قلة الاهتمام."

وقد يكون مفيد أنّ نعد الصدمة الثقافية إحدى مراحل أربعة في عملية التطبع الثقافي، أولها مرحلة الانبهار بالمحيط الجديد وما يبثه من إثارة، وثانيها إحساس الفرد بتسلل بعض الفروق الثقافية، وثالثها يبدأ الفرد يعود إلى الحالة السوية في شيء من التردد والتذبذب، أما المرحة الرابعة فهي مرحلة البرء الكامل، إما بالاندماج في الثقافة الجديدة أو بالتوائم معها.[78]

[78] Peter Adler 1972: 8.

ويشير " **ولآس لامبرت** " – غير مرة – في بحثه عن تأثير الاتجاهات في تعلم اللّغة الثانية إلى ما أطلق عليه " دور كيم " الإحساس بعد الرضا الاجتماعي إذ حين يبدأ الفرد يفتقد بعض ما يصله بثقافته الأصلية ويتكيف مع الثقافة الثانية، يعاني تجربة الشعور بالندم والخوف من الالتحاق بالجماعة الجديدة، وهذا الإحساس قد يكون أول أعراض المرحلة الثانية التي أشرنا إليها آنفا، حين تنفك بعض روابطه الأصلية ولا تتوثق أواصله الجديدة.[79]

وقد أكد" **لامبرت** " أنّ أقوي جرعة من الإحساس بعدم الرضا الاجتماعي يتجرعها المرء حين يبدأ في إتقان اللّغة الثانية، وذلك كله يتوافق مع ما ذكرناه من خصائص التحبذ في المرحلة الثالثة ولا يخفت الإحساس بعدم الرضا الاجتماعي إلا بعد أنّ تشرف المرحلة الثالثة على نهايتها، ويشرع إلى الانتقال إلى الثقافة الجديدة.

ويرى " **مارك كلاك** " أنّ تعلم لغة ثانية وثقافة ثانية يشبه " ازدواج الشخصية " حيث تصبح المواجهة الاجتماعية تهديدا فطريا، فيلجأ الفرد إلى أساليب دفاعية لتخفيض آلامه[80]، ويستشهد بما يطلق عليه " **جورج بيت سون** " " الارتباط المزدوج " الذي يعتري الفرد في الثقافة الجديدة.

1- عليه أنّ يميز كل ما يقال حتى يكو ردّه مناسبا.

2- لا يجد نفسه في موقف حرج حين يتلقى كلاما مناقضا.

3- وهو يعجز عن التعليق على ما يتلقاه من تصويب ردوده.

ومن هنا فإنّ مرحلة " ازدواج الشخصية " في الصدمة الثقافية وفي تعلم اللّغة مرحلة خاصة، إما أنّ يغرق فيها المتعلم إما أن يتقن السباحة.[81]

---

[79] Wallace Lambert 1967.
[80] Mark Clarke 1976: 380.
[81] George Bateson 1972: 208.

وإذا كنا قد صورنا الصدمة الثقافية تصويرا قاسيا على أنها مرض لا برء منه فإنّ " بيتر آدلر " يرى أنّ تنظر إليها نظرة إيجابية.فإنّ المتعلم يتخلص من معانات الصدمة الثقافية، ويتأكد من وثاقة صلته بثقافته الأصلية ويدرك مواقف الآخرين، وقيمهم، و أرآءهم التي تتبع من ثقافتهم الخاصة، بمساعدة الدارسين على التغلب على الصعوبات الثقافية، بإتاحة فرصة الاتصال الشفوي والارتقاء بالحوار بين الثقافات، وثمة الآن وسائل كثيرة تعين المدرس في مرحلة التفاعل الثقافي في قاعة الدرس، مثل مختارات من القراءة والأفلام والمحاكاة أداء الأدوار، ووسائل الدمج الثقافي، فيما يسمى بأقراص الثقافة.

وذلك كله فلا نستطيع أنّ نزعم أنّ الصدمة الثقافية يمكن تجنبها بأمصال وجدانية، على أنّ المدرس يقع على كاهله العبء الأكبر في اختيار هذه العقبة، إن يستطيع أنّ يعين الدارس على الانتقال من المرحلة الثانية إلى الثالثة، مما ييسر نجاحه في تعام اللّغة الثانية وثقافتها.

التفاوت الاجتماعي:

ظهر مفهوم التفاوت الاجتماعي باعتباره بنية وجدانية تفسر مكانة تعلم الثقافة في تعلّم اللّغة الثانية، وهو يغني درجة التقارب المعرفي والوجداني بين ثقافتين التقتا في شخص واحد.

وينهض افتراض " جون شومان " على أنه كلما اتسع التفاوت الاجتماعي بين ثقافتين كثرة الصعاب التي تواجه الدارس في تعلم اللّغة الثانية، فإذا ضاق التفاوت قلت الصعوبات وازدادت فرص التعلم.

التفاوت الاجتماعي التقديري والمثالي:

على أنّ فرصة " شومان " تواجه عقبة حقيقية تتمثل في صعوبة قياس درجة التفاوت الاجتماعي الفعلية، إذا كيف تحدد هذه الدرجة، وما وسائل ذلك، وكيف نصوغه في دراسات كمية تسمح لنا بالمقارنة؟ ذلك أنّ التفاوت الاجتماعي وهو بنية نفسية يصعب تعريفه تعريفا دقيقا شأن البنى النفسية الأخرى.

وقد اقترح " وليام أكتون " حلا لذلك، وتتكون مقاييسه في ثلاثة أبعاد، يسأل عن الدارسين في الاستبانة أطلق عليها الفروق المعلنة في استبانه المواقف " يكشف عن متعلم اللّغة الجيد أو الناجح بناء على مقاييس اختيارات الكفاءة، والسؤال الأساسي في هذا المقياس يدور حول مقدار ما ذكروه من فروق تجاه بعض الأمور { كالسيارة والطلاق والاشتراكية والشرطة وغيرها } من حيث الأبعاد الثلاثة الآتية.

1- التفاوت بينهم وبين أهليهم تجاه هذه الأمور بشكل عام.

2- التفاوت بينهم وبين أصحاب الثقافة الهدف.

3- التفاوت بين أهليهم أصحاب الثقافة الهدف.

وقد حدد " أكتون " درجة لكل بعد، وظهر أنّ الدارس الذي يرى نفسه ملتصقا جدا بثقافته الأصلية، مبتعدا جدا عن الثقافة الهدف، ويصنف في درجة الدارس الشيء، أما الدارس الجيد فهو الذي يحتفظ بتفاوت ما من كلتا الثقافتين.

ومقياس " أكتون " لم يشر بالنجاح في تعلم اللّغة، لكن يكفي أنه وصف العلاقة بين التفاوت الاجتماعي واكتساب اللّغة الثانية في خطوات عملية تقبل القياس.

وتدعم نظرية " أكتون " ما ذهب إليه " لام برت " من أنّ إتقان اللّغة الأجنبية يتواكب مع الشعور بالغربة، وينعدم الرضا الاجتماعي، إذ يكون الدارس قد ابتعد عن ثقافته دون أنّ يندمج في الثقافة الجديدة.[82]

تعلم اللّغة الأجنبية واللّغة الثانية:

في إطار العلاقة بين تعلم اللّغة الثانية وثقافتها، تجدر الإشارة إلى مصطلحين يكثر دورانهما، مصطلح اللّغة الثانية، ومصطلح اللّغة الأجنبية، أما اللّغة الثانية فتطلق حيث يتعلمها الدارس في بيئتها كالعربي الذي يتعلم الانجليزية في بريطانيا أو الولايات المتحدة، أو حيث تكون هذه اللّغة مستعملة في وطن الدارس استعمالا واسعا فالتعليم وفي الإدارة الحكومية، وفي مجالات الأعمال { كالإنجليزية في الهند والعربية في الجزائر والمغرب قبل التعريب } أما اللّغة الأجنبية فتطلق على أية لغة تتعلمها في بيئتك أنت { كالإنجليزية والفرنسية والألمانية في البلدان العربية } لتباين درجة التفاعل الثقافي لكل منهما.

إنّ تعلم اللّغة الثانية تجري في سياقين، فإذا جرى تعلمها في بيئتها الثقافية انطوى على أكبر قدر من التفاعل من التفاعل الثقافي، إذ يقيم الدارس في هذه البيئة، وليس أمامه إلا هذه اللّغة للاتصال، أما إذا كان تعلمها يجري في بيئة الدارس كالإنجليزية في الهند، فإنّ ذلك لا يفضي إلى مشكلات ثقافية، أي صارت إنجليزية مهنده.

أما تعلم اللّغة الأجنبية في بيئة الدارس " كالإنجليزية " في البلاد العربية فإنه ينطوي على درجات متفاوتة من التفاعل الثقافي وفق أهداف الدارسين ودوافعهم من تعلم هذه اللّغة، فبعضهم يتعلمها لولعه باللّغات، وبعضهم لرغبة في الاتصال بأصحاب هذه اللّغة، ومن ثم نرى رغبة الدارس في الاقتراح بالقيم الثقافية لهذه اللّغة.

اللّغة والفكر والثقافة:

[82] John Schumann 1976c:136.

لا نستطيع أن نترك تأثير المتغيرات الثقافية في اكتساب اللّغة الثانية دون أنّ نعرض لعلاقة الفكر باللّغة، والتطور المعرفي يواكب التطور اللّغوي في اكتساب اللّغة الأولى وتعبيرنا عن حقيقة ما يؤثر تأثيرا هائلا في تصورنا الفعلي لهذه الحقيقة، فالكلمات هي التي تشكل حياتنا، مثلا في مجال الإعلان فإنه يؤثر في تشكيل أفكار الناس، وكيف يدفعهم إلى شراء شيء والعدول عنه.

وتشكل العلامة اللّغوية التي نطلقها على الأشياء المخزنة في الذاكرة، ولا سبيل إلى المهارة في تأثير اللّغة في تكويننا المعرفي والوجداني، وانظر إلى تأثير حوار مؤثر أو صفقة ممتازة، وكيف يسيطر الخطيب في أفكار مستمعيه، ويوجه أرآءهم، وكيف تفضي افتتاحية صحفية قوية إلى أحداث أو تغييرات.

والثقافة جزء جوهري مكمل للتفاعل بين اللّغة والفكر، فاللّغة هي التي تعبر عن الأنماط الثقافية وتعكس نظرة المجتمع إلى العالم.

وليس هذا التنوع مقصورا على الفروق الثقافية التابعة من الاختلاف الجغرافي فحسب، ففي إحدى اللّغات يختلف استعمال الأفعال عما نعرفه في لغتنا، فنحن نقول مثلا يجري زيد، لكن في هذه اللّغة فعلا واحدا معناه: أعرف أنه يجري في هذه اللّحظة، وفعلا ثانيا: أعرف أنه يجري رغم أني لا أستطيع أن أراه، وفعلا ثالثا: معناه أذكر أني رأيته يجري أظن أنه لا يزال يجري، آخر يفيد : قيل لي أنه يجري وهكذا ونجد اختلافا أساسيا في طريقة التعبير عن الزمن والمدة

لكن في الوقت نفسه ندرك صلة اللّغة بالثقافة وجود خصائص كلّية تربطنا جميعا في عالم واحد، ومتعلم اللّغة الأجنبية يعني – في نهاية الأمر – التفكير بها والحق أن تجارب المتعلم السابقة في اللّغة الأصلية هي التي تسير إلى السبيل إلى ذلك. [83]

في قاعة الدرس:

قدمنا في الدرس السابق إحدى الطرق التجديدية التي ظهرت في السبعينات، وهي طريقة " تعلم اللّغة الجماعي الاستشاري " بما استمدته من المدخل الإنساني للتعلم الذي وضعه " كارل روجرز " وفي هذه الفترة نفسها ظهرت طريقتان: الطريقة الإيحائية والطريقة الصامتة.

ولقد كانت الطريقتان متعارضتان في نظرتهما إلى المدرس، من التجديد في تعليم اللّغات.

الطريقة الإيحائية:

[83] ينظر: عبده الراجحي: فصول في علم اللّغة المرجع السابق، 169-172..

تعود هذه الطريقة إلى فكرة عالم النفس البلغاري " لوزا نوف " من أنّ العقل البشري يستطيع معالجة كمية هائلة من المعلومات حين تتوافر الظروف الملائمة للتعلم، ومن بينها الاسترخاء وغياب سيطرة المتعلم، وتؤدي الموسيقى دور أساسيا في هذه الطريقة لأنها تمكن المتعلم من التعامل مع قدر كبير من المادة التعليمية، لأن العزف الموسيقى الهادئة، يزيد موجبات الألفاظ في المخ، وانخفاض ضغط الدم وفي معدل النبض.

وقد طبق لوزان نوف وأتبعه هذه الطريقة على تدريس المفردات والقراءة والحوار وأداء دور معين وغيرها من أوجه النشاط في قاعة الدرس، ويتركز الفرق في شيئين:

1- أن يجري الدرس في سياق موسيقى هادئة.

2- أن يجلس الدارسون في مقاعد ناعمة ومريحة، في حالة استرخاء واع، يشجعهم المدرس على أنّ يكونوا كالأطفال قدر ما يستطيعون تاركين قيادهم للمدرس محاولين فقط أن يؤدوا ادوار أصحاب اللّغة التي يتعلمونها حين يصبحون قابلين للإيحاء.

وقد لقيت الطريقة الإيحائية نقدا من عدة أوجه، منه ما ذكره سكوفيل، من أن نتائج لوزا نوف كلها محل نظر، ومنها صعوبة توفير الموسيقى، والقاعة الهادئة المريحة، في كل مواقع التعليم وما يتوجب عليها من نقد حول التذكر لاكتساب اللّغة، ومهما يكن من أمر فإن علينا أنّ نستثمر ما نراه نافعا في هذه الطريقة وغيرها ونجعلها تلاءم ظروفنا التعليمية.[84]

الطريقة الصامتة:

تستند الطريقة الصامتة في إطارها النظري – شأن الطريقة الإيحائية – على أسس " معرفية " وليس أسس " وجدانية " ، صحيح أنّ واصفها " **كاللب جاتينو** " قد اشتهر بالاتجاه الإنساني، لكن طريقته قد تنهض على مبدأ حل المشكلات، ويصف " **ريتشارد** " و" **روجرز** " هذه النظرية:

[84] Georgi lozanov 1979.

1- يكون التعلم أيسر حين يكون تصحبه وسائل مادة معينة.

2- ويكون أيسر حين تصحبه وسائل مادة معينة.

3- ويكون أيسر حين يحل الطالب نفسه مشكلات المادة التي يتعلمها.

والتعلم الاستكشافي اتجاه معروف في الستينات، ويؤكد أنّ التلقين يفضي إلى انخفاض درجة التعلم عن طريق استظهار المعلومات.

لقد أفادت الطريقة الصامتة من إجراءات التعلم الاستكشافي، ويؤكد " **جاتينو** " أنّ الدارسين ينبغي أنّ يكتسبوا الإحساس بالاستقلال والمسؤولية والاعتماد على النفس، والتعاون في حل كل ما يواجههم من مشكلات، وعلى المدرس أن يكون محركا لا متحكما، بل ينبغي أن يترك الدارسين يسعوا إلى حل المشكلات بأنفسهم وخلاصة الأمر ينبغي أن يكون صامتا معظم الوقت، ومن هنا جاءت تسمية هذه الطريقة.[85]

وتستخدم الطريقة الصامتة في قاعة الدرس عددا من أعواد الخيزران بألوان وأطوال مختلفة، وعددا من جداول الحائط الملونة، حيث تفيد الأعواد في تعليم المفردات عن الألوان والأعداد والصفات وبعض قواعد النحو كالجمع والتفضيل ونظام الكلمات في الجملة، وغير ذلك، وتفيد جداول الحائط الملونة في تقديم نماذج[86].

[85] Scovel 1972.
[86] Caleb gattegno 1972.1976.

الفصل الثالث:

مناقشة الكتاب:

المبحث الأول:

أولا: مناقشة الأفكار المحورية للكتاب :

من خلال تتبعنا للأهم الفصول والمباحث التي وردت في كتاب "فصول في علم اللغة" " لعبده الراجحي " والوقوف على أهم الأفكار الأساسية والمحورية ،وعلى آراء اللغويين على اختلافاتهم فيما يتعلق بمعرفة فقه اللغة وعلم اللغة ،والخلط الذي وقع فيه الكثير من الباحثين، وكذلك التعرض إلى تتبع نشأة هذين العلمين على ما يذكره مؤرخو الدرس اللغوي من الغربيين الذين أخذ عنهم علماؤنا في العصر الحديث. فيمكن الوقوف على أهم نقاط الاختلاف من خلال تقديم نقد بناء يشمل أهم النقاط الآتية:

1- الخلط الذي وقع فيه الكثير من الدارسين اللغويين حول مصطلح "فقه اللغة "و "علم اللغة "

من المعلوم أن فقه اللغة على المستوى الاصطلاحي علامة لغوية حدد طرفاها منذ القدم، وهو مصطلح عربي تراثي، ولا يمكن أن تقابله بأي مصطلح كان.

وقد خلط الدارسون العرب بين "فقه اللغة" و "علم اللغة " ،وهذا ما نجد عند "***علي عبد الواحد وافي*** " في هذا الفصل النظري الذي قدمه "عبد الراجحي "حول مصطلحي "فقه اللغة وعلم اللغة عند الغربيين "، ***فعلي عبد الواحد وافي*** جعل المصطلحين شيئا واحدا ، والفرق الوحيد عنده هو أن فقه اللغة متعلق بما يتصل باللغة العربية بالذّات ،ودليلنا على ذلك أن بعض الموضوعات التي طرحها في كتابه "علم اللغة " ينبغي أن تندرج تحت كساء "فقه

اللغة ".فهو لا يفرق بين بحوث " علم اللغة " وبحوث "فقه اللغة " وهذا ما تبيّن لنا بعدا قراءة كتابيه "علم اللغة " و "فقه اللغة "– يقول في مقدمة كتابه "فقه اللغة "عرضنا في كتابنا "علم اللغة "لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها وانتقالها من السلف إلى الخلف، وانشعاب الأصل الواحد منها إلى شعب وفروع ، وتكون مجموعتها وفصائلها ،وصراعها بعضها مع بعض وتطور من مختلف الوجوه.[87]

وتعتبر هذه موضوعات أقرب إلى فقه اللغة منها إلى علم اللغة ثم يقول: " فمؤلفنا هذا بمنزلة الجزء الثاني من كتابنا 'علم اللغة ' ، غير أننا أثرنا أن نطلق عليه اسما خاصّا شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها، خاصة ما يتعلق منها باللغة العربية "، فالمصطلحات لديه يحملان نفس الدلالة، وهو لا يميز بين "فقه اللغة " و" علم اللغة " وجعلهما يحملان نفس المصطلح.

وقد ساوى ***محمد المبارك*** في كتابه "فقه اللغة " وخصائص العربية بين المصطلحين ووضّح ذلك ، إذ يقول بعد حديثه عن دراسة اللغة : " إن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسّطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي ، نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين ' علم اللغة ' أو ' فقه اللغة ' ، وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة ".[88]

أما بحوث كتابه فقد تداخلت بين "فقه اللغة وعلم اللغة "، يقول : "أمّا طريقها التأليف التي إنتهجناها في الكتاب فقد كانت دراسة اللغة العربية من خلال النّظرات الحديثة ،والأبحاث المقارنة في فقه اللغة دون أن ندخل الضيم على العربية أو نلحق بأصولها وخصائصها غبنا أو ظلماء فلم نحاول أن تكون دراستنا تقليدا أو إحتذاءا لدراسة اللغات

[87] ينظر: علي عبد الواحد وافي، " فقه اللّغة، لجنة البيان العربي، القاهرة ط 5، 1962م، ص 16.
[88] ينظر: محمد المبارك، فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق، د.ط، ص 26.

الأخرى ... لم نأخذ من النّظرات إلا اتجاهها ومنهاجها أو بعضها أو مسائلها العامّة المشتركة بين اللّغات ". ثم وجدنا أنّه تناول في كتابه جملة موضوعات هي :

1- الأصوات اللغوية.

2- الاشتقاق

3 – الأبنية و الأوزان .

4 – معاني الألفاظ .

فهو إذ لا يفرق بين هذين المصطلحين "فقه اللغة " و "علم اللغة ".

أما ***صبحي الصالح*** فرأى في كتابه دراسات في فقه اللغة أنّه "من المسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة لأن جل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا، وقد سمح هذا التداخل.[89]

وذهب ***عبد الصبور شاهين*** إلى هذا الرأي نفسه في كتابه (علم اللغة العام) معزّزا إيّاه بتعريف فقه اللغة ،إذ قال :" إن موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللّغات فقط ولكن يجمع إلى ذلك دراسة تشمل الثّقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدّراسة ،أمّا علم اللغة فيركز على اللغة نفسها ولكن مع إشارات عابرة أحيانا إلى قيم ثقافية وتاريخية ويولي علم اللغة معظم اهتمامه للّغة المتكلّمة و أن كان يوجّه للغة المكتوبة شيئا من الاهتمام ".

[89] ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة ،العربية، المكتبة الأهلية بيروت، ط 2 ، (1382 هـ. 1962 م) ص 3- 5 .

فقد عاب ***عبد الصبور شاهين*** *على* ***صبحي الصالح*** *الفرق* الكبير بين مفهوم المصطلحين دعوته إلى تصميم "فقه اللغة "بحيث يصدق على كلّ فروع الدّراسات اللّغوية.[90]

وممن تبنى التسوية بين هذين المصطلحين ***محمد حسن عبد العزيز*** *في كتابه* ***"مدخل إلى علم اللغة*** "الذي قرّر "أن يستخدم عبارة علم اللّغة لتشير إلى الدراسة التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة اللغة العربية قديما وحديثا *"* ، *وهذا شأن* ***محمد الأنطاكي*** *إذ يقول في كتابه :****"الوجيز في فقه اللغة "***، "إنّ فقه اللغة أو علم اللغة هو المقابل للمصطلح الغربي linguistique [91]

وكان جديرا أن نشير إلى ما طرحه ***عبد الراجحي*** *في قوله:* *"* من الحقائق المقرّرة أنّ الحياة العلمية العربية نشأت وتطوّرت في ظل القرآن الكريم ، ذلك أنّ المسلمين لم يروا في قرآنهم كتابا يتلى في الصلوات أو يرتل في المناسبات ولكنّهم آمنوا به كتابا ينّظم حياتهم كلّها بحديث ينبغي أن تتسق هذه الحياة مع ما جاء به القرآن الكريم ، ومن هذه الحقيقة الكبرى في حياة المسلمين كانت حركتهم نحو العلم في سبيل فهم النص الكريم والوصول إلى ما يحتويه من أحكام.

أحيانا بإطلاق كلّمتين التسميتين على الأخرى ". وقال: وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدّراسة اللّغوية من خلال التسميتين المختلفتين اللّتان تطلقان عليهما وجدناها تافهة لا وزن لها ". ولكنّ هذا الدارس على الرّغم من ذلك أيّد مصطلح "فقه اللغة "لأنّه الاسم الذي أطلقه بعض العرب على مباحث هذا العلم وموضوعاه: فقال : " وإنه ليحولنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا وأن

[90] ينظر: عبد الصابور شاهين في علم اللّغة العام، بيروت ط 3 ، 1980، ص 53.
[91] ينظر: محمد عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة، ص 95.

يعمّموها على جميع المباحث اللغوية لأن كلّ علم لشيء فهو فقه، أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقها " .[92]

ففقه اللغة عنده " منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به أصل اللغة التي يراد دراستها، وموطنها الأول، وفصيلتها، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية، وخصائصها وعيوبها ولهجاتها وأصواتها وتطوّر دلالتها، ومدى بنائها قراءة وكتابة ".

كما أن نجد عددا من الدارسين وهم كثر يرفض اتخاذ "فقه اللغة " مقابلا "لعلم اللغة " ومنهم ***تمام حسن و محمود فهمي حجازي و كمال محمد بشر*** *وما أورده* ***عبده الراجحي*** في هذا الكتاب ،أنّه فرّق بين المصطلحين ورأى في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية) أنّ فقه اللغة يدرس اللغة بوصفها وسيلة لفهم تراث أمّة معيّنة ،أمّا علم اللغة فيدرسها بوصفها غاية في ذاتها ،كما أنّه ظهر تحديد علم حين أعلن ***دي سوسير*** *أنّ "* موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ".[93]

ويقول ***نعمة رحيم العزّاوي:*** *" ونتيجة* لهذا الفرق القائم بين مدلولي المصطلحين ذهب عبده الراجحي إلى أنّ مصطلح ' فقه اللغة ' لا يدلّ على موضوع هذا العلم ومنهجه فضالا عمّا يحيط به من غموض ،وما نشب حوله من خلاف ، وأنّ مصطلح علم اللّغة هو مصطلح الدقيق ".

فالذي لا يشك فيه أنّ العلوم العربية نشأت منذ البداية – متصلة مترابطة ثم تطورت بعد ذلك في "مناخ " عقلي عام صنعته الحياة العربية فكان كل علم يتأثر بالعلوم العربية الأخرى لا بعلوم أخرى منسوبة إلى ***أرسطو*** أو منسوبة إلى اليونان على العموم .

[92] بتصرف، فصول في علم اللّغة، المرجع السابق، ص 27.
[93] ينظر: صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 15.

فعلم اللغة عند العرب تأثر بمنهاج الفقه والكلام، وتأثر الفقه والكلام بعلوم اللغة، ولقد فصّل كثير من الباحثين في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب وخاصة عند تعرضهم لتاريخ النحو، وهم يرجعان نشأة هذا الدرس إلى انتشار" اللحن". نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام ،أي أن الدرس اللغوي نشأ لحفظ القرآن الكريم من اللمس ، وكان سعيا منهم لفهم النص القرآني باعتباره من الأحكام التي تنظم الحياة .

وعلى هذا المنهج الذي نهجه العرب في درس اللغة ولمعرفة الجوانب التي تصله بفقه اللغة أو بعلم اللغة.

والقصد هنا هو شأن المنهج الذي ساروا عليه والذي ربما كان أكثر وضوحا فيما عرف بفقه اللغة.

فقد تطوّر العرب في التأليف في فقه اللغة، وكان جديرا أن نقتصر حديثنا في هذا الفصل على التأليف التي توفر أصحابها على دراسة ما يرتبط ارتباطا قويا بفقه اللغة علما مستقلا قائما بنفسه لا يتناقض التعريف الذي قدمناه له. **فالدكتور صبحي الصالح** في كتابه دراسات في فقه اللغة يرى :

فقد شهد القرن الرابع لأول مرّة مصطلحا جديدا هو " فقه اللغة " ،**لأحمد بن فارس** أحمد الحسين القز ويني (ت395ه) وهو أستاذ الصاحب بن عباد المتوفى سنة (385ه) فقد خلع على مباحثه في نشأة العربية اسم " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها "، وذهب إلى أن اللغة الهام وتوفيق مستند بقوله تعالى "وعلّم آدم الأسماء كلّها "، على أنّه ضمن كتابه هذا بعض المباحث إلهامه حقا في فقه العربية ،كخصائص هذه اللغة واشتقاقها وقياسها ومترادفها ومجازها واشتراكها ونحتها واختلاف لغاتها ولهجاتها، والغاية من تأليف الكتاب كما ذكرنا من قبل، هي خدمة النص القرآني.

أما الكتاب الثاني فهو كتاب **أبا المنصور عبد الملك بن محمد** ت " 429 هـ " ينشئ بعد ذلك كتابه " فقه اللّغة وسر العربية " ، الذي لا نجد اسمه إلا كالثوب الفضفاض عليه، فإنه لم يضمنه إلا بعض المباحث القليلة التي يمكن أنّ تتعلق بهذا العلم، كإيراد بعض الألفاظ العربية التي نسبها أئمة اللّغة إلى الرومية، أو بعض الأسماء القائمة في لغة العرب والفرس على لفظ واحد، أو الأسماء التي تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هي، وهذه المباحث واردة في الباب التاسع والعشرون من كتابه.[94]

أما الكتاب الثالث نجد **ابن جني أبو فتح عثمان " ت 392 هـ** " الفقير اللّغوي العبقري كتابه الخصائص راح يناقش فيه أبحاثا في أصل اللّغة: إلهام هي أم اصطلاح ، وفي مقاييس العربية، و اطرادها وشذوذها، ألفاظ ومعانيها، واتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين.

والاشتقاق الأكبر والاشتقاق الأصغر، وتركيب اللّغات، واختلاف اللّهجات، ومع أنّ خصائص ابن جني أجدر الكتب أنّ تسمى " بفقه اللّغة " ضنّ عليها مؤلفها بهذا الاسم

وما يراه الدكتور **عبده الراجحي** بقوله: " هل نعتبر كتب ابن فارس وابن جني والثعالبي كتبا في فقه اللّغة أم هل نعتبرها كتبا في فقه اللّغة ؟ " [95]

وما أقره من كلام حول هذين المصطلحين فقد رأى أنّ دراسة الدرس اللّغوي عند العرب القدماء تندرج تحت " علم اللّغة " وليس "فقه اللّغة "، ومن الصالح أنّ تتفق في دراستنا على مصطلح " فقه اللّغة " لا يشير من قريب أو من بعيد إلى طريقة العرب القدماء فضلا عما يحيط به من غموض وما يعتوره من خلاله

قد اقتصر اللّغويين الغربيين على نظرة ضيقة في كون مصطلح "فقه اللّغة " تنحصر في دراسة قواعد الصرف والنحو ونقد النصوص الأدبية، أو واسعة فتشمل دراسة الحياة العقلية

[94] ينظر: صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 20.
[95] بتصرف: فصول في علم اللّغة المرجع السابق، ص 48.

لأمة من الأمم، بمعنى آخر بحث النشاط اللّغوي بمختلف جوانبه، وهذا أنّ النّظرة الغربية في هذا العصر لمصطلح " فقه اللّغة " تبتعد من مدلول " علم اللّغة " فتقف عند حدّ درس قواعد الصرف والنحو ونقد النصوص الأدبية، وتتسع حينا آخر فتشمل الحياة العقلية لأمة من الأمم وما يقتضي ذلك من دراسة النشاط بمختلف جوانبه، وهذا ما يجدينا الاستعانة بمصطلح آخر هو " علم اللّغة " الذي يعني دراسة اللّغة دون غيرها من وجود النشاط الإنساني دراسة علمية تقوم على منهج علمي دقيق

أما معنى مصطلح علم اللّغة عند علماء علم اللّغة العرب القدماء فهو لا يتجاوز دراسة الألفاظ مصنّفة في موضوعات، ومدلول مفردات الكلم، وبيان الموضوعات اللّغوية الجزئية، فعلم اللّغة ابن فارس مثلا (ت 395 هـ)، على معاني الأفعال والأسماء والحروف وعلى الوظائف التركيبية، وقد ذهب ابن خلدون (ت 808 هـ) في مقدمته إلى أنّ علم اللّغة يدل على صناعته جميع الألفاظ المندرجة تحت موضوع واحد بصورة خاصة، أو المتصلة بالمترادف والتخيل والمشترك وحين أنّ هذه الصفة تدل على المعجمات.

وما تخلصه ممّا تقدم إلى أنّ مصطلح " فقه اللّغة " عند علماء العرب القدماء يبقى قاصرا أو ضيقا إذ ما قورن بمصطلح " فقه اللّغة " الذي استعملوه إذ إنّ " فقه اللّغة " كان يدرس لغة النص القرآني بغية استنتاج الأحكام التي تنظم حياة المسلمين منه ولكنه ينتمي إلى دراسة نصّ مسموع لا إلى دراسة نصّ مكتوب و يعمد إلى توزيع دراسة هذا النّص المسموع (كلام الله) على مستويات اللّغة كلها: الصوتية والصرفية والتركية، أو النحوية، والدلالية وغيرها.

أما مصطلح علم اللّغة linguistiques، عند المحدثين، فهو العلم الذي يدرس اللّغة دراسة شاملة لاستخراج قوانينها الخاصة بها سواء كان ذلك في أصواتها وألفاظها أم مفرداتها ومعانيها أم تراكيبها وأساليبها، وهذه الدراسة تقوم على الوصف ومعانيه الواقع بعيد

عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، يقول " دي سوسير " " إنّ موضوع علم اللّغة الصحيح والوحيد هو اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها "[96]

ومن الجدير بالإشارة إلى أنّ علم اللّغة عند العرب قدّ مرّ بمراحل تطويرية، فبعد أنّ كان يهتم بالدراسات التاريخية المقارنة في بداية القرن الثامن عشر بعد اكتشاف اللّغة السنسكريتية (لغة الهند القديم) أصبح يهتم بالدراسات الوصفية التي تنطبق عليها قول " دي سوسير " (دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها " وبهذا فقد اختص بجملة خصائص أشار إليها علماء اللّغة الغربيون، ومن أهم هذه الخصائص:

1- أنّ علم اللّغة يتصف بالاستقلال، وهذا مظهر من مظاهر علميته.

2- يهتم علم اللّغة باللّغة المنطوقة قبل اللّغة المكتوبة.

3- يعني علم اللّغة باللّهجات ولا يفضّل الفصحى عل غيرها، فاللّهجات على اختلافها وتعددّها لا تقلّ أهميّة عن سواها من مستويات الاستخراج اللّغوي.

4- يسعى علم اللّغة إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللّغات الإنسانية ووصفها.

لا يقيم علم اللّغة وزنا للفرق بين اللّغات البدائية واللّغات المحضّرة لأنها جميعا جديرة بالدّرس دونما تمييز أو انحياز مسبق.

وهذا أهم ما يجعل علم اللّغة في القرن التاسع عشر علما حديثا هو إخضاع الظواهر اللّغوية لمناهج البحث العلمي، خلافا لما كان عليه الحال من قبل، إذا كانت علوم اللّغة في أوربا تتصف بالافتراض والتخييل.

[96] ينظر: دي سوسير، ترجمة د، صالح القرمادي، دروس في الألسنية العامة، تونس، د.ط ، 1966 م ، ص 20.

5- جوانب تشمل مستويات الدراسة اللّغوية من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية.

6- علاقة اللّغة بالمجتمع الإنساني والنفس البشرية ويكشف هذا المجال عن دراسة اللّغة أنّ علم اللّغة بتنازعه علمان آخران هما " علم الاجتماع وعلم النفس " فحقائق العلم الأول يفسر بها عالم اللّغة العلاقة بين اللّغة والإنسان في حياته الاجتماعية ويبين أثر المجتمع وحضارته وتاريخه ونظمه وتركيبه وبنيته في الظواهر اللّغوية وبحقائق العلم الثاني يفسّر عالم اللّغة العلاقة بين الظواهر اللّغوية والظواهر النفسية بمختلف أنواعها من تفكير وخيال وتذكّر واسترجاع وعاطفة وغير ذلك "

ما نستنتجه أنّ علم اللّغة يهتم بتحليل اللّغات في زمن محدّد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللّغة والمفردات، ويعتمد علم اللّغة في دراسته اللّغة الكلامية غير المكتوبة فيستمع إلى المتحدثين ويعبّر عن لغتهم المنطوقة برموز دوليّة متعارف عليها ويهتم عالم اللّغة بدراسة شكل اللّغة في العقل ووظيفتها وكيفية معالجة اللّغة في العقل الإنساني، ويهتم أيضا بعلاقة اللّغة بالمجتمع الإنساني.[97]

ومن خلال تحديدنا لهته الفروق حول مصطلح فقه اللّغة وعلم اللّغة من خلال رؤية لأهم المحاور التي تناولها " ***عبده الراجحي*** " في هذين الفصلين، وانه من الجدير الوقوف عند علم له حدوده ومناهجه فيما يخص الدرس اللّغوي عند العرب وعند الغرب، وهو أنّ مصطلح علم اللّغة أكثر دلالة في الدراسة خصوصا ما نصّ عليه باحثي القرن التاسع عشر من الغربيين والعرب.

وهذا ما نراه من خلال مجالات علم اللّغة وعلاقته بالعلوم الأخرى سواء ما تعلّق بعلم اللّغة الاجتماعي، وعلم اللّغة التطبيقي ومصادره في الفصول التي تلي هذين العلمين.[98]

[97] ينظر: دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز علم اللّغة العامة، جامعة الموصل، د.ط 1980، ص 56.
[98] ينظر: فصول في علم اللّغة، المرجع السابق، ص 52.

فما تميز به علم اللّغة الاجتماعي هو:

1- دراسة المشكلات اللّغوية في البلاد النامية

2- دراسة مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة.

كما نجد أنّ الانثروبولوجيين عكفوا على دراسة اللّغة، وهذا ما قرره " ***عبده الراجحي*** " **في قوله:** " ولقد وجد علماء الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر في منهج اللّغويين اقترابا كبيرا في منهجهم في الدرس، واشتهر علماؤه بالجمع بين العلمين منهم " ***ماكس مولر*** " الذي قدّم دراسات في اللّغة ودراسات في الانثروبولوجيا وقد كان مكان " الثقافة " في العلمين أساس هذه الصفة: فالثقافة كانت غاية عند علماء اللّغة، وهي عند الانثروبولوجيين " الثقافيين " حقيقة نهائية متميّزة بذاتها، وليس المجتمع إلا وسيلة لوجودها واستمرارها.

فدرسوا كلّ ما يتعلق باللّغة والاتصال على عدّة جوانب كما نراه واضحا في هذا الكتاب وعلى نحو ما أوضحه " ***عبده الراجحي*** " [99]

المبحث الثاني:

مناقشة لغة الكتاب :

لقد كان الراجحي علما بعلوم اللغة العربية ،فكان كثيرا ما يجمع بين القديم في أصالته والحديث في حدته وطرافته .

يقول **الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي** رئيس جامعة الإمام بن سعود الإسلامية والوزير الأسبق :" يمتاز الدكتور الراجحي في دراساته اللغوية بالجمع بين القديم والجديد وتحس عندما تقرأ له أنّك تقرأ لعلم من أعلام اللغة والنحو القدماء ،فهو متمكن من التراث

[99] ينظر:أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي والثقافي، الهيئة العامة المصرية للكتاب د.ط، 1975 ص 178.

اللغوي الأصيل ،معتز به ،قادر على تقديمه للأجيال الجديدة بأسلوب يجمع بين سلامة اللغة ورصانتها وبين وضوح التعبير والقدرة على إيصال المعلومات .وتقرأ له من جانب آخر فتجد نفسك أمام عالم لغوي معاصر ،عارف بكل مستجدات علوم اللغة الحديثة ،ناقد لها ،متفق منها ما يتناسب مع أساليب العربية وخصائصها ،فهو لا يتنكر لتراثه اللّغوي لكنّه لا يقتصر عليه ". حق إنّه يجمع بين القديم في أصالته والحديث في حدته وطرافته.

كما أنّ عبده الراجحي صاحب علم وفضل في الدرس اللغوي العربي الحديث، فقد امتازت كتبه بالبساطة في التناول وسهولة المعلومة، وهي مفيدة للدارسين ولغي الدارسين.[100]

المبحث الثالث:

المنهج المتتبع :

على اختلاف القضايا التي طرحها ***عبده الراجحي*** في هذا الكتاب ،وعلى اختلاف الفصول والمباحث ،فقد نعرض لفقه اللغة وعلم اللغة سواء عند العرب القدماء وعند المحدثين ،كما نقرأ لبعض اللغات وسلالاتها ،وتعرض لعلم اللغة التطبيقي وعلم اللغة الاجتماعي ،فدرس ما يميّز الثقافة في المجتمع واللغة والاتصال عند الإنسان والحيوان واللهجات وأهم طرق اكتساب اللغة الثانية ،وأهم طرق ووسائل التعليم ،فكان جديرا استعمال المناهج الآتية :

ما جاء به ***عبده الراجحي*** في قوله "وعلم اللغة حين يدرس اللغة يتخذ ثلاثة مناهج هي :المنهج الوصفي ،والمنهج التاريخي والمنهج المقارن ".

1- علم اللغة الوصفي :

[100] ينظر: مجلة مجمع اللّغة العربية، العدد 109، (ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر المجمع في دورية الثانية والسبعين، يوم الثلاثاء من 21 صفر 1427 هـ الموافق لـ 21 مارس " آذار" سنة 2006).

فيدرس لغة معينة في فترة معينة وكما هي مستعملة في مكان معين ، وهذه الدّراسة هي أساس المنهجين الآخرين ،إذ لا يمكن تطبيق **'المنهج التاريخي'** ولا **'المقارن'** إلا بعد الفراغ من **'المنهج الوصفي'**.

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي :" وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفي في السبعين عاما الماضية ،وتكونت في هذا الإطار عدة مدارس تختلف في تقنيات الوصف اللغوي ،ولكنّها تنطلق من الأسس التي تكونت عند **دي سوسير** ،وعند من جاء وأبعده ،لقد أصبح علم اللغة الوصفي في سائد عند أكثر المشتغلين ،يبحث اللغة في العالم ،حتى أن البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث ،ويعني علم اللغة الوصفي ،وكأنّه هو المنهج الوحيد في علم اللغة ".

2- علم اللغة التاريخي :

فيدرس لغة له معيّنة من حيث تطوّرها وتغيّراتها خلال التاريخ وإذا صحت تسمية المنهج الوصفي بأنّه منهج ساكن فإنّه يصّح تسمية المنهج التاريخي بأنّه منهج حركي .

ويقول الدكتور فهمي حجازي في هذا الشأن كذلك :" هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوي التاريخي ،فالتاريخ اللغوي بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية ،ولا يقتصر هذا الحديث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ،بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة ،وتغيّر ذلك عبر الزمن ،كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة ويبحث أيضا الانحسار اللغوي عن مناطق محدّدة ... وعلى ذلك فالتاريخ اللغوي يتناول دراسة التغيّر في البنية اللغوية وبحث التغيّر في مستويات الاستخدام " .

3- علم اللغة المقارن :

فيدرس التقابلات المطردة أو المنتظمة بين لغتين أو أكثر داخل العائلة اللغوية الواحدة ،ذلك أن الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية لا تصلحان وحدهما لتفسير عدد كبير من الظواهر في لغة معينة ، ومن ثم كان من اللازم عرضها على الدراسة المقارنة وهذا ما يوضحه محمود فهمي حجازي :" يعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية ،ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة

على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت اللغة **السنسكريتية** في الهند ... أيضا تطبيق المنهج المقارن ، كما تطور في مجال اللغات الهندية الأوروبية ، وبذلك ظهر علم اللغات السامية المقارن الذي يبحث مجموعة اللغات العربية والعبرية و الآرامية و الأكادية والعربية الجنوبية والجنسية " .

وما نراه كفيلا في هذه الدراسة التي بين أيدينا نجد عبده الراجحي في كتابه " **فصول في علم اللغة** "، وقد تحدث عن علم اللغة ومجالاته، فكان كفيلا استعمال هذه المناهج على نحو علمي في الدراسات اللغوية لفتح مجال أمام القارئ العربي.[101]

[101] ينظر: د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 22 – 24.

بعد البحث في ثنايا الكتاب الذي بين أيدينا، والتّعرض لأهم الفصول والمباحث، فإن كتاب عبده الراجحي فصول في علم اللّغة في مضمونه العام تناول فصولا مختلفة لموضوع علم اللّغة وأهم مجالاته الأساسية كما عرضها عبده الراجحي، ففي خاتمة هذا البحث يمكننا إجمال النّتائج الواردة فيه متمثّلة في:

1- الخلط الّذي عرفته الدّراسات اللّغوية في جامعاتنا بين مصطلحي "علم اللّغة "وفقه اللّغة. عند كل من علمائنا العرب والغربيين.

2-تحديد الفروق بين "فقه اللّغة "وعلم اللّغة"، وتحديد مناهجهما في الدّراسة.

3-التمييز بين كلا المصطلحين.

4-تتبّع نشأة الدرس اللّغوي يعين على فهم "علم اللّغة" "وفقه اللّغة".

5-الفرق واضح بين "فقه اللّغة "وعلم اللّغة".

6-"فقه اللّغة" هو العلم الذي بفهم اللّغة ودراسة قضاياها وموضوعاتها.

7-"فقه اللّغة" يعنى بدراسة النّصوص اللّغوية القديمة، واللّغات البدائية، ويهتم بالتّراث والتّاريخ والنّتاج الأدبي واللّغوي.

8-كان لاكتشاف اللّغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطوّر الدّراسات اللّغوية، وبيان فصائل اللّغات وتقسيمها.

9-أنّ تأريخ الغربيين للدّرس اللّغوي، كان مقصورا على مجهودات اللّغويين الذين ينتمون إلى اللّغات الهندية الأوروبية.

10-أنّ عمل اللّغويين الغربيين قبل اكتشاف السنسكريتية كان منصبا على اللّغتين اليونانية واللاّتينية.

11-أنّ كشف اللّغة السنسكريتية أدّى إلى نشأة ما يعرف "بفقه اللّغة"، بحدوده المعروفة الآن، من درس للنّصوص القديمة في أشكالها المكتوبة، ومن اتخاذ اللّغة وسيلة لدراسة الثّقافة على العموم.

12-أنّ السنسكريتية أدّت إلى تصنيف اللّغات تصنيفا سلاليا.

13-أنّ الدّرس اللّغوي كان مهتما بالمقترنة بين اللّغات الّتي تنتمي إلى العائلة الهندية الأروبية، كما كان مهتما بإعادة تشكيل اللّغات القديمة، وهذا أدّى إلى نشأة "فقه اللّغة المقارن".

14- اتّخاذ حدود "علم اللّغة" حدوده الواضحة منذ أواخر القرن التّاسع عشر.

15-إقرار "عبده الرّاجحي" أنّ علم اللّغة الوحيد والأساسي دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

16-علم اللّغة يقسّم درس اللّغة إلى مستويات، صوتية، ونحوية، وصرفية، ودلالية، وهو ما ظهر أنّ علماء العربية كانوا على وعي به منذ القديم.

17-علم اللّغة يتّخذ المنهخ العلمي وصولا إلى القوانين العامّة التي تنتظم اللّغة.

18-"علم اللّغة" حين يدرس اللّغة على هذه المستويات، يتّخذ ثلاثة مناهج :(المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، المنهج المقارن.

19- الدرس اللّغوي عند العرب كان مندرجا تحت "علم اللّغة وليس "فقه اللّغة".

20- إشارة "عبده الراجحي" إلى أنّه ينبغي أن نتفق على مصطلح واحد يكون أكثر دلالة على الموضوع والمنهج وهو علم اللّغة كما أقر في مقدّمة كتابه.

- ومن هنا نصل أو نلتمس فرقا جوهريا بين كلا المصطلحين في الجوانب الآتية:

1- إنّ موضوع "فقه اللّغة" هو لغة بعينها كالعربية، في حين أنّ موضوع علم اللّغة هو اللّغة باعتبارها ظاهرة إنسانية.

2- إنّ الهدف من "فقه اللّغة" هو دراسة الحضارة والأدب من خلال اللّغة، في حين أن "علم اللّغة" يدرس اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

3- إنّ مصطلح " فقه اللّغة " أقدم من مصطلح " علم اللّغة ".

4- إنّ منهج "فقه اللّغة يهتمّ دراسة اللّغة وسيلة لدراسة الحضارة والأدب من خلال اللّغة، في حين أنّ منهج علم اللّغة يدرس اللّغة في ذاتها.

5-إنّ عمل " فقهاء اللّغة " تاريخي مقارن في أغلب الأحيان، أمّا عمل " علماء اللّغة " وصفيا تقريريا.

21- إقرار "عبده الرّاجحي إنّ اتّصال البحث اللّغوي بعلوم المجتمع من دراسة اللّغة والثقافة، واللّهجات، وهذا ما أدّى إلى الكشف عن منهج علم اللّغة الاجتماعي في صورته الحالية واتّصاله بعلوم كثيرة.

22- " علم اللّغة الاجتماعي " يهتم بدراسة المشكلات اللّغوية في البلاد النّامية.

23- " علم اللّغة الاجتماعي " يدرس مشكلات التّعلّم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة.

24 – اهتمام الأنثروبولوجيون بدراسة اللّغة والاتصال بمناهجها، أما ما قدمه الأنثروبولوجيون للدّرس اللّغوي، كان بارز في مجلات عدة أهمها: (دراسة اللّغة والجنس – اللّغات البدائية – أصل اللّغة – اللّغة والأسطورة – نظرية سياق الحال.)

25 – تعرّض " عبده الراجحي " إلى دراسة اللّغة والاتصال وأنّ ارتباط دراسة اللّغة بدراسة المجتمع وحياة الإنسان، كما شملت دراسة اللّغة والاتصال عدّة جوانب أهمها: (دراسة اللّغة والحركة الجسمية، دراسة اللّغة والاتصال عند الحيوان، دراسة اللّغة والاتصال عن الإنسان).

26 – تعرض " عبده الراجحي " الحديث عن اللّهجات الاجتماعية الإقليمية، وأنّ دراسة اللّهجات الإقليمية ضرورية لفهم علاقة اللّغة بالبيئة، ولفهم حركة اللّغة من علاقة البيئات ببعضها، ثم لفهم البناء الاجتماعي في ضوء هذه العلاقات.

– أما البحث عن اللّهجات الاجتماعية يهتم بدراسة التنوع اللّغوي المنتظم ودراسة هذا التنوع وفقا لمقاييس اجتماعية واضحة، كمقياس (اللّهجة والعمر – اللّهجة والجنس – اللّهجة والمهنة).

27 – تعرض " عبده الراجحي " إلى اللّغة والثقافة في مصر في العقد الأخير.

28 – أقرّ " عبده الراجحي " في فصل من فصول هذا الكتاب أنّ علم اللّغة فتح أفاق جديدة للبحث منها علم اللّغة التطبيقي Applied linguistics والتعرض لمجلاته وأهم مصادره الأساسية المتمثلة في: (علم اللّغة – علم اللّغة النفسي – علم اللّغة الاجتماعي – وعلم التربية)

29 – وهنا تكمن طبعة العلاقة التي تربط بين علم اللّغة التطبيقي بهذه العلوم في محاولة البحث عن حل لمشكلة تعلم اللّغة، وبخاصة في تعليم اللّغة الأجنبية وهذا ما يمثل تعليم العربية لأبنائها ولغير الناطقين بها على السواء.

30 – تعرض عبده الراجحي إلى اكتساب اللّغة ومستقبل تعليم العربية، والعوامل الاجتماعية والثقافية وما يتصل باللّغة والثقافة، واكتساب اللّغة الثانية واللّغة الأجنبية.

31- وفي الأخير أحال " عبده الراجحي " إلى وجود طريقتان تدعم التعلم وفسح المجال للطلاب، الطريقة الإيحائية، والطريقة الصامتة.

هذه هي نتائج الدراسة التي تتعلق بموضوع علم اللّغة وأهم مجلاته كما أقره " عبده الراجحي " في كتابه " فصول في علم اللّغة ".

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع:

– خالد فهمي (أبو الحسن الجمال) مآذن من بشر، أعلام معاصرون، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط 1 ، 2016.

محمد المبارك فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق 1960 2–

3– صبحي الصالح: دراسات في فقه اللّغة، مطبعة جامعة دمشق .1960

4–عبده الراجحي، فصول في علم اللّغة ، دار المصرية الجامعية د.ط 2016م.

5– د. أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية للكتاب، 1975م.

6– أحمد زكي صالح، نظرية التعلم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م.

7– علي عبد الواحد وافي، " فقه اللّغة، لجنة البيان العربي، القاهرة ط 5، 1962م.

8– عبده الراجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، درا النهضة العربية، بيروت، دط 1972.

9– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة ،العربية، المكتبة الأهلية بيروت، ط 2 ، (1382 هـ. 1962 م) .

10– عبد الصابور شاهين في علم اللّغة العام، بيروت ط 3 ، 1980.

محمد عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة.

11– دي سوسير، ترجمة د، صالح القرمادي، دروس في الألسنية العامة، تونس، د.ط ، 1966 م .

12– دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز علم اللّغة العامة، جامعة الموصل، د.ط 1980.

13– أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي والثقافي، الهيئة العامة المصرية للكتاب د.ط، 1975.

14–د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.

المجلات والدوريات:

– مجلة مجمع اللّغة العربية، العدد 109، (ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر المجمع في دورية الثانية والسبعين، يوم الثلاثاء من 21 صفر 1427 هـ الموافق لـ 21 مارس " آذار" سنة 2006.

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث إشكالية علم اللّغة وأهم مجلاته، ويطلق هذا المصطلح على العلم الذي يدرس اللّغة دراسة علمية تعتمد على الدقة والوضوح والشمول والمنهجية، ويدرس اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

ولما كانت اللّغة نقطة التقاء بين علم اللّغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللّغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى، رغبة في الكشف عن أسرار النظام اللّغوي بكل مستوياته.

كما قسم اللّغويين، علم اللّغة إلى قسمين: علم اللّغة النظري، وعلم اللّغة التطبيقي، وأهم هذه العلوم الذي يستعين بها علم اللّغة هي:

1- علم اللّغة الاجتماعي ،علم اللّغة النفسي، علم اللّغة الانثروبولوجي ،علم اللّغة الجغرافي ،علم التربية .

الكلمات المفتاحية: علم اللّغة، علم اللّغة الاجتماعي، علم اللّغة النفسي، علم اللّغة الانثروبولوجي، علم اللّغة الجغرافي، علم التربية.

Résumé:

Cette recherche examine le problème de la linguistique et de ses domaines les plus importants, et ce terme appelle la science qui étudie le langage une étude scientifique basée sur l'exactitude, la clarté, l'exhaustivité et la méthodologie, et enseigne la langue pour elle-même et pour elle-même.

Comme la langue est un point de rencontre entre la linguistique et diverses branches de la connaissance, cela a conduit à une coopération mutuelle entre elles, et la recherche linguistique moderne

utilise d'autres sciences, afin de révéler les secrets du système linguistique à tous les niveaux.

Les linguistes ont également divisé la linguistique en deux parties: la linguistique théorique, la linguistique appliquée, et les plus importantes de ces sciences utilisées par la linguistique sont: la linguistique sociale, la psychologie, la linguistique anthropologique, la géospatologie et la pédagogie.

Summary:

This research examines the problem of linguistics and its most important fields, and this term calls the science that studies language a scientific study based on accuracy, clarity, comprehensiveness and methodology, and teaches the language for itself and for itself.

As language is a meeting point between linguistics and various branches of knowledge, this has led to mutual cooperation between them, and modern linguistic research is using other sciences, in order to reveal the secrets of the linguistic system at all levels.

Linguists also divided linguistics into two parts: theoretical linguistics, applied linguistics, and the most important of these sciences used by linguistics are: social linguistics, psychology, anthropological linguistics, geospatology, and pedagogy..